التجربة الشعرية
للدكتور فوزى أمين
لغةً وإيقاعاً ومضموناً

بحث بقلم

د/ إيمان محمد عبدالفتاح الشماع

مدرس الأدب والنقد

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالإسكندرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مبحث تمهيدي

أولا: الشاعر وإبداعه الشعري

ولد الشاعر الدكتور / فوزي محمد أمين في « حصة الغنيمى » بمحافظة كفر الشيخ عام ١٩٤١، وواصل دراسته هناك، حتى التحق بكلية الآداب جامعة الإسكندرية وتخرج فيها. وقد عمل معلما بالمدارس الإعدادية والثانوية وواصل دراساته العليا فحصل على الماجستير ثم الدكتوراه وعين مدرسا بقسم اللغة العربية بكلية الآداب التي تخرج فيها وتدرج في وظائفها وهو يعمل حاليا أستاذا متفرغا للأدب العربي بها. وله العديد من الدراسات والأبحاث الأدبية وأشرف على عدد كبير من رسائل الماجستير والدكتوراه.

ورغم انتمائه لمحافظة كفر الشيخ، إلا أنه ينتسب للحركة الشعرية والأدبية والنقدية بالإسكندرية التي عاش فيها شبابه منذ كان طالبا بجامعتها وظهر في منتدياتها وشارك في مهرجاناتها الشعرية منذ ستينيات القرن العشرين وحتى الآن، كما شارك في كثير من المؤتمرات الشعرية والأدبية في أنحاء مصر وخارجها.

ورغم تميز قصيدته منذ البداية بلغة رفيعة وموسيقى تراثية متقنة ومجازات وصور شعرية حية، إلا أنه لم يصدر ديوانه الشعرى أو أى مجموعة شعرية مطبوعة حتى تجاوز الستين من عمره إلى أن أصدر مجموعته الشعرية الأولى عام ٢٠٠٣ بعنوان « الفارس والكهف »[١] ثم مجموعته الثانية «عناقيد من كرمه ابن هانئ» عام ٢٠٠٤ [٢]

وقد تبوأ فوزي أمين بهاتين المجموعتين الشعريتين مكانة سامقة في مملكة الشعر فقصائده متميزة وكلها من الشعر العمودي الجاد الذي اتسم رغم كلاسيكيته بروح المعاصرة وقد اخترت أن يكون موضوعا لهذا البحث للاعتبارات السابقة المتمثلة في تميز قصائده بعناصر الشعر الحق، ولأنني بعد أن أضناني

البحث لم أجد كتابا نقديا واحدا مخصصا لشعره المحكم مما تحتاج معه المكتبة العربية لدراسات تكشف عن موهبة هذا الشاعر الكبير وتبرز عناصر القوة والجمال في إبداعه وأرجو أن يكون بحثي هذا واحدا منها، ودعوة للباحثين والنقاد لمزيد من البحث والدراسة لتجربته الشعرية العميقة. ولعل الناقد الذي سبقني للتنبيه لمكانة هذا الشاعر هو الأستاذ الدكتور فوزي عيسى الذي كتب لفوزي أمين مقدمة ديوانه الثاني والذي كتب عن ديوانه دراسة وجيزة في كتابه جماليات التلقي (قراءات نقدية في الشعر العربي المعاصر) [٣]

قائلاً: « إنه صوت شعري متفرد فهو أحد الشعراء القلائل المميزين في كتابة القصيدة العمودية ولو كنا نتنفس في مناخ نقدي صحي لتهافت النقاد على شعره واحتفوا بتجربته وإخلاصه للشعر واضعين إبداعه في مكانه اللائق به»[٤]

- وتنحصر القصائد المعروفة للشاعر فوزي أمين فيما تضمنته مجموعتاه الشعريتان الوحيدتان : الفارس والكهف، وعناقيد من كرمة ابن هانئ.
- وتمتد الفترة الزمنية التي كتبت فيها هذه القصائد من ستينيات القرن العشرين حتى تاريخ صدور الديوانين.. فى عامى ٢٠٠٣، ٢٠٠٤ أى فى فترة تصل إلى قرابة نصف قرن من الزمان.
- والمطلع على الديوانين يلاحظ اكتمال أدوات الشاعر منذ سنوات البداية في الستينيات، لغةً وإيقاعا ومجازا وصورا شعرية واحتفاءً بالخيال.

يقول الناقد الدكتور / فوزى عيسى فى هذا الصدد : "تؤدى البنية الرمزية دوراً بارزاً فى إثراء تجربة الشاعر فوزى أمين ، ومن القصائد ذات الكثافة الرمزية قصيدة الشجرة والمصير ..... وتؤدى البنية الحوارية عند شاعرنا دوراً فاعلا فى تعدد الأصوات وتجاوز الغنائية أو الصوت الواحد ، وكثيرا ما يتردد صوت المجموع معبرا عن وجود أزمة أو فجوة فى الرؤية بين الشاعر والجماعة كما يتمثل فى حواريات قصيدة " من مواجد قيس " .....

ويلفتنا البناء التصويرى بحداثته وثرائه وتنوع مصادره وأنماطه ... ويتحقق التناص على نحو فنى عال يمنح التجربة ثراءً ، وتتنوع أنماط التناص وطرقه"، وعن السمات المميزة لشعر فوزى أمين يقول الأستاذ الدكتور سعد دعبيس : يلاحظ الدارس لشعر الدكتور فوزى أمين فى ديوانه "الفارس والكهف" أنه أستخدم أكثر من أداة تشكيلية ومن أبرز هذه الأدوات الأقنعة والرموز والأساطير ومن تلك الأقنعة : قناع مجنون ليلى وقناع المتنبى وقناع أبى الفتح السكندري وقناع المهلهل . ومن الرموز تلك الرموز التاريخية التى رمز بها لانحلال الخلفاء العباسيين وطغيانهم وأسقطها على الواقع المعاصر ومن الأساطير أسطورة إيزيس وأوزوريس.

ويقول هذا الناقد الجليل الذى سبقنى أيضاً إلى التنويه بمكانة الشاعر فوزى أمين " إن ديوان الفارس والكهف يمثل رائعة من روائع الإبداع الشعرى العربى المعاصر" (٥).

وسوف نخصص هذا البحث لتجربة فوزى أمين الشعرية : لغةً وإيقاعاً ومضموناً .

المبحث الأول

لغة الشاعر

أسفرت تجربة الشاعر عن احتفاء شديد باللغة.. فهي لغة رفيعة بليغة، وإذا فتحنا أيا من ديوانيه على أي من صفحاته فسنجد في جميع الأحوال أبياتاً تدلل على تلك اللغة الرفيعة .. يقول فوزى أمين بلغة عذبة :

رسموا على الآفاق صورتها
وعلى اسمها فوق اللظى عبروا
لكنها – والتيه – شيمتُها
مارقّ يوما قلبها الحجرُ
ياليل .. يا أنداء .. ياقمر
كم من هوى يشقى به البشر(٦)

ويقول فوزى أمين بلغته الرفيعة :

في الكرم لى مرتقىً ومتكأُ
ولى زمان مانالَه الصدأ
تهوى إليه الطيور ناطقة
ما هدهدٌ غائب ولا نبأ
وكشَّفت ساقها محاذرةً
كأنها فوق لجة تطأ
فقلت مهلا فإنه أَلَقٌ
لم تحوه في كنوزها سَبأ
من سره للشموس دورتها

وعنـــــــده تنتهـــــــى وتبتـــــــدئ

ويقول فى قصيدة أخرى بذات اللغة الصافية الرشيقة:

لا تَـــــرُمْ للحـــــب دارا.. إنمـــــا
داره خلـــف التخـــوم الآدميـــة !

أَيُّ « قَـــيْسٍ » تبتغـــي يـــا صـــاحبي ؟
أي « ليلـــي » هـــي « ليلـــي العامريـــة »

قمـــــر الأحـــــلام إن قاربتَـــــهُ
لـــيس إلا بعـــض أرض حجريـــة (٧)

تلك كانت أبيات تدل على لغته ، من ديوانه الثاني.. وهذه أبيات من ديوانه الأول:

قولـــوا للَيْلَـــي.. والله يحرســـها
تشـــردي عنـــكِ في الهـــوى قَـــدَرُ

خرجـــت فـــردا للبيـــد تؤنســـني
وحوشـــها.. حـــين أوحـــش البَشَـــرُ

البيـــد يـــا « ليـــلَ » شمسُـــها أَلَـــقٌ
وصـــــبحها لا تميتـــــة الجُـــــدُر

والصـــدق فيـــه ســـجيةٌ.. نطقـــت
بـــه الرمـــال الخرســـاء والحجـــر

.....

فقلـــت قلـــبي هنـــا ســـأنثره
قصـــائدا بالرجـــاء تـــأتزرُ

فربمـــا عـــاد بـــالربيع غـــدٌ
وربمـــا جـــاد حلمهـــا المطـــر

وفى ديوانه الأول أيضاً يقول :

الشـــعر ياقلـــب .. هـــل مضـــى زمنُـــهْ

وأوّبـــت مـــن بحارهـــا ســـفنه
وهـــاجرت طـــيره .. فـــلا وتـــرٌ
مـــرنمٌ لحنُـــه ولا شـــجنه ؟![٨]

وتبلغ اللغة ذروة الديباجة الكلاسيكية المتقنة فى قصيدته التى يخاطب فيها "المتنبى" "لأينا آهة الأوجاع" :

بعاصـف مـن خيـول الشـعر مقـتحمِ
مازلـتَ تضـرب فـى وهـد وفـى أَكَـمِ

تشـق قلـب الـدياجى عـن سـنا حُلُـمٍ
وتـودع النـار بـين الحـرف والـنغم

ترمـــى بشـــهب القـــوافى ثُلَّـــةً لبســـت
جِلْـدَ الأســود علــى نفــسٍ مــن الــنَّعَمِ

تملكـــــت زمنـــــا فاضـــــت عجائبـــــهُ
عــن ســادة كلــهم مــن جملــة الخــدم

هـــمُ علـــى قـــومهم نـــار مســـعّرَةٌ
وهـــم لأعـــدائهم لحـــمٌ علـــى وضِـــم

فاضـــرب فمـــا ثـــمَّ إلا مـــن عـــرفتَهُم
وروِّ رمحـــك لا تعقـــب علـــى نـــدم

هـــمُ هـــمُ النـــاس قطعـــان يُســـيِّرهُا
طـاغ مـن العُـرْبِ أو بـاغ مـن العجـم(٩)

هكذا دائما لغة فوزي أمين يمتلكها ويصوغها رفيعة ، مشرقة، باقتدار وقد حافظ فى شعره الكلاسيكى على ديباجته الأولى كما عرفناها عند شعراء العربية الكبار بفخامتها المعروفة ، وكما رأينا فى النماذج السابقة ، فهى لغة رفيعة بليغة.

ولا يقدح في ذلك ما يرد في شعره من بعض الألفاظ المعجمية الغريبة أو التى لم تعد مألوفة أو التى يجهلها المتلقى المعاصر أولا يستسيغها فى زمن تعانى فيه العربية من أزمة التلقى، فإن ذلك قليل فى شعره على كل حال.. وما سبب هذا إلا غوصه فى كتب اللغة ومتون التراث وتأثره بها وعشقه لها فهو متأثر لا محالة بما قرأ وحفظ واستوعب من جهة ، وضعف مستوى المتلقى المعاصر وإلمامه باللغة من جهة أخرى. ومن تلك الألفاظ التى أظنها قد صارت مهجورة أو مجهولة بالنسبة للمتلقى المعاصر أو تكاد تكون كذلك ما ورد فى شعره من

مفردات مثل:« العُفُرُ»، قِلَى، زمزموا (حول إفكهم)، تنتاشنى، ثَلَّمَهُ، قَرمَهْ، وهى مفـــردات وردت فـــى القصـــيدتين الأولـــى والثالثـــة مـــن ديوانـــه الأول «الفارس والكهف» . ومنها: «ذباب السيف» « الغواش الذهبية» من قصيدة شر البلية، مُتَّضِعا، من ذَفَرِه ، فى عُفُرِه، من دَعَره، الأُلى »، من قصيدة « الدنيا لنا خلقت» من الديوان الثانى «عناقيد» . ومن تلك الألفاظ أيضاً : صِرٌّ (فى وصف الريح) ، قَرٌّ (فى وصف الليل) ، زنديقُه دجنه ، رَسَنُه (من قصيدة بعدك ياشعر).

ويُكدى [من قصيدة من مواجيد قيس] واللِّمم ، والمهارق ، يحتثنا ، صِمَّة الصِّمم، الرُّجُم ، الأجُمُ [من قصيدة دورة السراب] ضِيزى ، المطىّ، الخنا [من قصيدة الوجه الضائع] ، الحجامة ، فَيْشِ العرامة [من قصيدته بكائية على طلل]. الوَجَى، جائحٌ ، قَرِمُ الثارات [من قصيدة لأينا آهة الأوجاع] . وكل هذه القصائد من ديوان الفارس والكهف .

ولكننا قبل هذا وبعده نتفق كل الاتفاق مع الناقد الدكتور فوزى عيسى إذ يقول:
" لا يخالج القارئ وهو يقرأ هذا الشعر أنه أمام شاعر كبيريحتفى بصنعته ويسيطر على لغته [١٠].

وأخيراً فإن مثل هذه المفردات التى تبدو غير سائغة للمتلقى المعاصر ، هى من مفردات اللغة الصحيحة الفصيحة وورودها فى شعر فوزى أمين لا يعيبه ، وهى معروفة سائغة لكل متخصص باعتبارها من مفردات اللغة التقليدية . ولكن اللغة باعتبارها كائنا حيا تنمو مفرداتها وتشرق وتشيخ ، قد تدعو للحفاظ على المفردات الحية الطازجة واستعمالها أكثر مما تدعو لإحياء مفردات قديمة أصبحت غير سائغة أو معلومة لجمهور المعاصرين. ولكن نماذج شعر فوزى أمين التى سقناها آنفا تشهد بجمال لغته وفصاحتها فى آن . وتؤكد أن تدنى مستوى الجمهور المعاصر فى اللغة هو ما يخلق مشكلة التلقى وهو ما يدعو لتجنبها فى الإبداع

المعاصر تحقيقا للتواصل اللازم بين المبدع والمتلقى فى هذا العصر الذى تواجه فيه لغتنا الجميلة أزمة لا تخفى على أحد . هذا ما أراه .

ويلاحظ أن هذه المشكلة أصبحت مطروحة بقوة فى الحياة الأدبية والساحة اللغوية وقد عبر عنها الشاعر والمجمعى الكبير فاروق شوشه لدى تقديمه أحد الشعراء بقوله إن هذا الشاعر "يحتفظ لنفسه بأصفى ما فى الموروث من نسيج حى متجدد قابل للبقاء ويطلق من خلاله روحه الشعرية مشعلة حرائقها فى أكفان اللغة الميتة مجددة إيقاع الشعر الجياش [١١] . كذا أثار الناقد الكبير المرحوم الدكتور / محمد زكى العشماوى هذه القضية قائلا :

" خذ من التراث ما هو حى ، واترك ما هو ميت ... قد يتصور بعض الناس أنك بتقليد التراث تستطيع أن تجدده ، هذا غير صحيح ، إن الانطلاق منه والإضافة إليه هى التى تجدد قوته .. والمعجزة هى فى تشكيل اللغة واستغلال طاقاتها ... [١٢] .

–ولغة فوزى أمين وإن كانت فى معظمها كلاسيكية تذكرنا بديباجة الشعر العربى القديم الفخمة إلا أنها لغة منتقاه إلى حد كبير متخلصة من المحسنات البديعية العقيمة والزخارف اللفظية التى لا معنى لها .

إنها لغة تشبه لغة الاحيائيين الكبار التى تذكرنا بالشعر العربى القديم والحديث فى عصور ازدهاره .. لقد اكتسب فوزى أمين من الشعر القديم ومن شعر الإحيائيين الذى بدأت به نهضة الشعر فى العصر الحديث قوة العبارة وجهارة النغم وأصالة التعبير . آية ذلك قصيدته عن المتنبى التى أوردنا بعض أبياتها من قبل .

هكذا يستخدم فوزى أمين اللغة . فينطبق عليه قول الشاعر الكبير أحمد عبدالمعطى حجازى [١٣] فى شاعر معاصر آخر هو " أبوهمام" (الدكتور عبداللطيف عبدالحليم) الذى يكتب مثله القصيدة العمودية وحدها بذات اللغة التراثية متشبثا بتقاليدها وصياغاتها ، فهو يراه وفيا للتراث متشبثا بتقاليد اللغة

ويتمثلها كأنه نشأ فيها محاولا أن يثبت امتلاكه للغة الشعرية القديمة وقدرته على الكتابة بها وهو يحاول بعد ذلك أن يثبت قدرة هذه اللغة على الحياة فى هذا العصر والتفاعل معه والاستجابة لحاجاته .

ويستطرد حجازى : " إن حركتنا الشعرية جديرة بأن تستفيد وتغتنى من الاتجاهات المحافظة فى الشعر كما أغتنت واستفادت من الاتجاهات والتجارب الجديدة ، فمن حق هذا الاتجاه المحافظ أن يوجد بل ينبغى أن يوجد وأن يمارس دوره فى الحركة الشعرية بوصفه نقيضاً يحمى حركة التجديد من الشطط ويصلها بالميراث ويقترح عليها أشكالا وأساليب تغنى تجاربها وتفسح أمامها مساحة الحرية ومجال الاختيارً . لا ينتقد حجازى وهو من رواد التجديد إذن استخدام الشاعر المعاصر للغة التراثية القديمة حتى لو تضمنت مفردات لم يعد المتلقى يألفها، بل يرحب بها ويوجب تواجدها جنبا إلى جنب مع مفردات اللغة المعاصرة إثراء للغة ككل وللشعر ككل ولإقامة التوازن بين مغامرات التجريب المعاصرة والحرص على اتقان اللغة وتجويدها ، والعبرة ليست بالتجديد أو المحافظة فى اللغة فى ذاتهما وإنما بالموهبة والقدرة على التعبير والتأثير ... يقول حجازى:

" إن المجددين يستكشفون العوالم الجديدة ، ويغامرون بلغتنا فى تجارب خطرة ويعلمونها أن تقبل من العواطف والأفكار والصور والتعبيرات والإيقاعات مالم تكن تقبله أو تعرفه من قبل وهم بذلك يساعدوننا على أن نشب وننضج ونزدهر، لكننا فى حاجة لما يتمتع به المحافظون من صبر وأناة وطول نفس وشعور بالانتماء ورغبة فى الإتقان والتجويد والمسألة فى الشعر أو فى غيره لا يحسمها الإتجاه وحده ، فليس يكفى ليكون المرء شاعراً أن يكون مجدداً أو محافظاً بل ينبغى قبل الاتجاه وبعده أن يتوافر له الشرط الأهم وهو أن يكون موهوباً [١٤].

فإذا أنزلنا الأحكام السابقة على تجربة فوزى أمين وجدنا التبرير الساطع للغته التى اختارها للقصيدة ، فموهبته الساطعة تعطيه الحرية الكاملة فى أن يختار تلك اللغة التراثية المحافظة ما دام يحسن بها التعبير والتأثير . ناهيك عن أنه لم يقتصر

على هذه اللغة المحافظة – التى يعشقها ويمارسها باختياره – بل إن فى شعره كما نرى فى هذا البحث نماذج للغة المعاصرة بمعنى الكلمة تلك التى تزخر بالمفردات الحية الطازجة . لقد نجحت لغته الكلاسيكية فى القصائد التى تناص فيها مع أبى نواس والمتنبى كما سنرى فى موضعه من هذا البحث ونجحت لغته الرومانسية الأكثر معاصرة فى قصائده العاطفية كما سنرى ، من أجل هذا – ورغم ميلى الشخصى للغة المعاصرة التى تتخفف من المفردات المعجمية القديمة والصياغات المحافظة الموروثة – أجدنى أقول بالنسبة للشاعر فوزى أمين ما قاله حجازى عن الشاعر أبى همام : " كسبت مصر شاعرا جديدا موهوبا يمتاز بميزات أهلته للتقدم ، وتخصه رغم محافظته بصوت فريد ، فى الوقت الذى أصبح فيه الشعراء يتقدمون قبائل لا أفرادا ، ويكرر بعضهم بعضا سواء فى ذلك المقلدون والمجددون [١٥].

المبحث الثانى : الموسيقى

يلتزم الشاعر فوزى أمين بضوابط الموسيقى التراثية الصارمة التى توصل إليها الخليل بن أحمد الفراهيدى البصرى واضع علم العروض فى القرن الثانى الهجرى [١٦] فهو يكتب القصيدة العمودية وحدها ولا يكتب إطلاقا الشعر التفعيلى ولا قصائد النثر .. يكتب القصيدة العمودية من بحور الشعر العديدة المعروفة بصورها المختلفة ويميل لبعضها ميلا جارفا كما هو الحال بالنسبة لبحور الطويل والكامل والبسيط والمنسرح. والبحر الأخير غاب عن القصيدة العربية العمودية إلى حد كبير فى العصر الحديث ، حتى أننا لا نصادفه فى الشعر المعاصر فى كل دواوين الشعراء إلا نادرا. أما فوزى أمين فقد كتب عن موسيقاه عشرات القصائد المتقنة وقد امتلأ ديوانه الأخير "عناقيد" بقصائد من المنسرح وهو ما لفت نظر الشاعر الناقد الدكتور فوزى عيسى فقال:

« لا يخالج القارئ أدنى شك وهو يقرأ هذا الشعر أنه أمام شاعر كبير يحتفى بصنعته ... ويقدم النموذج العمودى فى أنضر أشكاله وأكثرها توهجا»

« والشاعر فوزى أمين هو أحد الفرسان القلائل المبرزين الذين يصولون ويجولون في مضمار القصيدة العمودية، فهو فارسها المعلم الذى وسمها بميسمه، ونفخ فيها من روحه ورحيق وجدانه، ورفدها بعناصر الحداثة والمعاصرة».

ويشيد الناقد مرة أخرى بشعر فوزى أمين العمودى.. يشيد « بالإنجاز الفنى للقصيدة العمودية على يد شاعرنا، فقد بلغ بها أعلى درجات النضج الفنى وأضفى عليها من سمات الحداثة والإبداع ما جعلها قادرة على التطور والتحدى» وفيما يتعلق بمهارة الشاعر في استخدام بحر المنسرح المهجور يقول الناقد الدكتور فوزى عيسى: « تتنوع الأبنية والأنساق التى تتسع لها القصيدة العمودية حين يتهيأ لها شاعر كبير بحجم الدكتور فوزى أمين وطاقته الإبداعية الضخمة، وقد تجلت هذه الطاقة كذلك في هذا الاستخدام المدهش للبنية الإيقاعية والعزف بمهارة

منقطعة النظير على إيقاع المنسرح في غير قصيدة وزخرفته بطابع إيقاعى خاص » . ويلاحظ ذلك أيضاً الناقد الدكتور سعد دعبيس فيشير إلى غرام فوزى أمين بموسيقى المنسرح واصفا إياه بأنه من أصعب البحور يقول إنه أحْصى عدد مرات ورود هذا البحر فى شعر المتنبى فوجدها ثلاثا وخمسين مرة . وقد ورد هذا البحر نفسه فى ديوان الفارس والكهف فى خمس قصائد هى : بعدك ياشعر، هجرك، نذارة ، نبوءة، دورة السراب. ويضيف الناقد أن : هذا البحر لصعوبة النظم فيه لايجد إقبالا إلا لدى قلة نادرة من الشعراء المعاصرين على رأسهم الشاعر الدكتور عبداللطيف عبدالحليم (أبوهمام) الذى خصص له ديوانا بعنوان "مقام المنسرح" (١٧).

فى ديوان "عناقيد" تتنوع البحور الشعرية.

فمن المنسرح كتب فوزي أمين قصائد كثيرة... تؤكد سيطرته على البحر وقدرته على الإبداع فيه بعد أن هجرهُ الشعراء المعاصرون تقريباً كما ذكرنا.

من ذلك قصيدته « أينا في كفه الذهب » وفيها يقول متخذا قناع « أبى نواس»:

وقـــال لى صـــاحبى: لقـــد عَبَثَـــتْ
بـــك الليـــالى.. وخانـــك الأَرَبُ

وحطـــك اللـــهو عـــن مراتبنـــا
وكـــان أولى بمثلـــك الرتـــب

أمـــا ترانـــى والوشـــى ســـوّدنى
والجـــاه فـــى راحتـــىّ والـــذهب

فقلت هذا قد كان من دأبي
لو أن شأني الرياء والكذب

هل ثَمَّ إلا الأسجاعُ صاخبة
بالزيف منها تموه الخطب

دعني رفيق الصبا فوجهتنا
ليست سواء ... والدرب منشعب

أمامك الأفق فامضِ منطلقا
وخلني والشراب والطرب

يوما ستدري... والدهر ذو غير
من كان منا في كفه الذهب [١٨]

ومن المنسرح أيضا قصيدته: « دارى سناها»[١٩] ومطلعها:

دارى سناها لا يشعر العسسُ
فالأفق غيم ... والأمر ملتبسُ

وألغزى اللفظ إن أدرت بنا
كئوسها .. فاللبيب يحترسُ

فهيّن أن يقال : زندقةٌ
والناس مستضعف ومُخْتَلَسُ

ونحـــن قـــوم لم نـــأت فاحشـــة

وهمنـــا مـــن زماننـــا قَـــبَسُ!

ومن بحر البسيط قوله:

مبـــارك ذكرهـــا.. فـــالهج بتقـــديسِ

فحـرف حكمتهـا مـن لـوح « إدريـس»

أدر ســـلافك.. بـــالأفراح تغمرنـــى

بالـــذل تُبْـــدِلُنى زَهْـــوَ الطـــواويس

فهاتهـــا وأنلنـــى تـــاج مملكتـــى

واجمـــع شَـــتاتَ أثـــيرىٍّ ومحســـوسِ

ومن البسيط أيضا قوله:

وقالـــت الكـــرم لمـــا صـــح إصـــغاءُ:

مـــن أحـــرفي ألـــف الأســـرار واليـــاءُ

إن جفـت الأحـرف العجفـاء في صـحفٍ

فلـــى حـــروف علـــى الأزمـــان خضـــراء

ومن بحر الطويل يقول:

طرقـــت عليـــه الحـــان لهفـــان ســـاغبا

فـــأطعمنى أســـــراره ومواهبَـــــهْ
وقـــال: تَعَلَّـــمْ.. مـــا بحـــانى مجانـــةٌ
ولكنهـــا الـــدنيا علـــى النـــاس غالبـــة !
ولمـــا شـــرعنا العقـــل قـــالوا: مجانـــةٌ
إذن فلـــتكن دنيـــا المجـــون محاربـــة
نغلفهـــــا بـــــالهزل رُجْمـــــاً مُـــــبِيرَةً
وشُـــهْبا عـــل كـــل الشـــياطين ثاقبـــةْ
ويومـــا.. إذا ثابـــت عيـــون لنورهـــا
وألقـــت إلى ليـــل الضـــياع غياهبـــه
ســـــيعلم قـــــوم أى دُرٍّ ببحرنـــــا
ويزجـــى بنـــا ضـــوءُ الصـــباح مواكبَـــهْ

ومن بحر الكامل قوله:

ووَقفـــت أبكـــى.. قلـــت ياَطَلـــلُ
مـــا عـــدت أدرى أَيُّنَـــا الطلـــلُ

ومن «مخلع البسيط » قوله مخاطبا أبا نواس:

بأَيِّنَـــــا يبحـــــرُ الشِّـــــراعُ
وأنـــت.. أو هـــل أنـــا القنـــاعُ ؟
ومـــن لـــه الوجـــد والقـــوافى
ومـــن لـــه الطّـــرسُ والـــيراع ؟
وأينـــــا ســـــابقٌ ؟ وأىٌّ

لـــــه علـــــى دربـــــه اتبـــــاع
ونحـــــن صـــــوتان أو ترانـــــا
صـــوت لـــه في المـــدى اتســـاع ؟
ترمـــى... وأرمـــى... ومـــا رمينـــا
لكنمـــا قـــد رمـــى الضـــياع !

ومن بحر السريع يقول:

ياليـــل.. يـــا أنـــداء.. يـــا قمـــرُ
كـــم مـــن هـــوى يشـــقى بـــه البَشَـــرُ

ياليـــل يـــا أنـــداء يـــا قمـــر
يـــا ليـــت ممـــا مَـــرّ نعتـــبرُ

ومن بحر الرَّملَ يقول:

في الليـــالى العابثـــات الفوضـــويَّةْ
كـــن ذُبَـــابَ الســـيف أو دمـــعَ الضـــحيةْ

الأكاليـــل علـــى هاماتنـــا...
شـــوكها تحـــت الغواشـــى الذهبيـــة

لم تعلمنـــا الحضـــارات ســـوى
أن وضـــعنا للمخـــازى أبجديـــة !

ومن مجزوء الوافر يقول:

وراحـــوا يســـألون الليـــل مـــن حـــان إلى حـــانِ

ومـــن حـــانوت خمّـــار إلى كرمـــة بســـتان

وأضـــحك مـــن حمـــاقتهم فمـــا في الأرض ميـــدانى

ومـــن عجـــب يظـــن النـــاسُ أن اللفـــظ عنـــوانى !

ومن بحر المجتث يقول:

هفـــت إليـــه و غنـــتْ وللوصـــال تَمَنَّـــتْ

شـــقت دروب الـــديباجى وكابـــدت وتعنـــت

وحـــين كشّـــف وجهـــا مـــن صـــعقة النـــور جُنَّـــتْ !

ومن مجزوء الكامل يقول:

في النـــاس قـــومٌ مـــالهم مـــن دهـــرهم إلا الصـــفاقَةْ

لبســـوا رداء العلـــم واقتحمـــوا علـــى جهـــل رواقـــه

- هكذا تنوعت الإيقاعات في ديوان فوزى أمين الثانى « عناقيد من كرمة ابن هانئ» بتنوع بحور الشعر التى كتب منها قصائده. وفى ديوانه الأول « الفارس والكهف » قصائد كتبت على أوزان البحور السابقة، وفيه قصائد كتبت من بحور أخرى، ففى ذلك الديوان نجده يلج بحر «الخفيف» فيقول:

كـــم ذوت صـــرخةٌ.. وضـــاع نـــداءُ

يـــا ربـــوع الســـنا أَتَـــمَّ لقـــاءُ؟

الأغـــاني جفـــت علـــى شـــفة الشـــوقِ
وروضـــــى أتـــــى عليـــــه الشـــــتاءُ

وأنـــا بعـــدُ.. لم أزل أَنشُـــدُ الـــدفءَ
وتنتاشـــــــنى الرغـــــابُ الظّمـــــاءُ

هائمـــا، كلمـــا ســـعيت إلى حلـــم
كَبـــتْ بـــيَ أيـــامىَ الرعنـــاءً

لا أنـــا أســـتريح يومـــا إلى اليـــأس
ولا بـــالغ أنـــا مـــا أشـــاء !

ومن بحر المتدارك يقول:

ليلـــى أمـــواجٌ مـــن نـــورٍ
ونهـــارى ســـدف مـــن ظُلْمَـــهْ

.....

صِـــفْنى لى يـــا مـــن تعرفنـــى
مـــن زمـــن أنســـيت سمـــاتى

صـــدئت مرآتـــى.. مـــا عـــادت
تفصـــح عـــن شـــيء مـــن ذاتـــى

.....

في زمـن يغتـال الحـبَّ تركـت حبيبـى للأحـزانْ
ومضيت.. بكفى سيف الغدر.. وفى صدرى قلب خَوّانْ

ومن بحر « المتقارب» يقول:

رجعـــــت إليـــــكِ فـــــلا تســـــألى
لمـــــاذا رجعـــــتُ.. ولا تجفلـــــى
فمـــا زلـــت أنـــت ربيـــع الفـــؤاد
كمـــــا كنـــــت في الـــــزمن الأول

وهكذا تنوعت موسيقى القصائد بتنوع البحور.. وبنى فوزى أمين منها إيقاعات ثرية باذخة تميز تجربته الشعرية في زمن أدار فيه معظم شعراء العرب المعاصرين الظهر لعمود الشعر .. بل أداروا ظهورهم لموسيقى الشعر العربى الخالدة ووصفوا نصوصهم النثرية بالشعر وهى خالية تماما من الإيقاعات المنتظمة المطردة بسحرها الباقى على الأزمان.

– ومما ساعد على تنوع هذه الإيقاعات كتابة فوزى أمين قصائده على معظم بحور الشعر على اختلافها، وكتابته القصيدة الطويلة والمقطوعة أو القطعة القصيرة، وكتابته القصيدة ذات البيت التام (أى ما استوفى كل أجزائه وتفاعيله) مثلما كتب قصائد من مجزوءات البحور... والبيت المجزوء هو ما حذف جزء منه (من « عروضه » أو «ضربه» [٢٠]. ومثلما كتب القصائد ذات الجرس التقليدى الكلاسيكى الضخم كتب القصائد ذات الإيقاعات المرحة الراقصة القصيرة. معرجا على فنون للشعر تختلف عن القصيدة الكلاسيكية بإيقاعاتها التقليدية مثل مراعاته في بعض قصائده فنون « التصريع» و « المواليا » والموشح واستخدام البيت المصمت حينا و « المصرع» «والمقفى » و«المدوّر» أحيانا أخرى مما ينوع الإيقاع ويثرى الموسيقى.

* ومن مراعاته فن التصريع قوله فى قصيدته " شر البلية " من ديوان عناقيد من كرمة ابن هانئ صـ١٠٥ :

فـــى الليـــالى العابثـــات الفوضـــويَّةْ

كـن ذُبـاب السيف أو دمـع الضـحية

الأكاليـــــــل علـــــــى هاماتنـــــــا

شـــوكها تحـــت الغواشـــى الذهبيـــة

لم تعلمنـــــا الحضـــــارات ســـــوى

أن وضـــــعنا للمخـــــازى أبجديـــــة

فقد جعل التفعيلة الأخيرة فى الشطر الأول من البيت الأول "فوضوية" على وزن "فاعلاتن" فى حين أن مثيلاتها فى كل أبيات القصيدة التالية : فاعلن. والبيت المصرع ما غيرت عروضه لتماثل " الضرب" كقوله :

قفا نبكِ من ذكرى حبيب وعرفان

وربـــعٍ خلـــت آياتـــه منـــذ أزمـــانِ

فالأصل أن يرد البيت كما يلى وفق أصول بحر الطويل :

فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعلن

فعـــولن مفـــاعيلن فعـــولن مفـــاعلن

وفى هذا المثال تم تغيير العروض (التفعيلة الأخيرة فى الشطر الأول) من مفاعلن إلى مفاعيلن (وعرفانِ) لتماثل الضرب (التفعيلة الأخيرة فى الشطر الثانى (ذُ أزمانِ) .. ومن شأن هذا التغيير أن يحدث لونا من تنوع الإيقاعات.

❁ ومن استخدامات فوزى أمين لفن "المواليا" قوله من قصيدته " أهل الهوى ياليل":

ياليـــل يـــا أنـــداء يـــاقمرُ كم من هوى يشقى به البشرُ

ياليـــل يـــا أنـــداء يـــاقمرُ ياليـــت ممـــا مـــرَّ نعتـــبرُ

والقصيدة ليست بكاملها من فن المواليا . بل هو يختم كل مقطع من القصيدة العمودية المعتادة (المكتوبة من بحر الكامل) بموال مما ينسب لفن المواليا فيقول مثلا :

فـى راحتيهـا الشـمس والقمـرُ وبمقليتهـــا يـــبطش القـــدرُ

عشـــاقها لم يحصـــهم عـــددٌ لكنمـــا أحصـــاهُمُ السَّـــهَرُ

رسمـوا علـى الآفـاق صـورتها وعلى اسمها فوق اللظى عبروا

لكنهـــا والتيـــهُ شـــيمتها مـا رَقَّ يومـا قلبُهـا الحجـرُ

ياليـــل .. ياأنـــداء يـــاقمرُ كم من هوى يشقى به البشرُ

ياليـــل .. ياأنـــداء يـــاقمرُ ياليـــت ممـــا مَـــرَّ نعتـــبرُ

ومن شأن هذا الاستخدام لفن المواليا .. تنويع الإيقاع وإثراء موسيقى القصيدة.

❁ ومثال قصيدته ذات البيت التام قوله من بحر الطويل :

كيف اللقاء وقومى يطلبون دمى

والنار حولىَ من إفك الوشايات

ومن أمثلة المجزوء (مجزوء الرمل) قوله :

وراحـــوا يســـألون الليـــل مـــن حـــان إلى حـــانِ

ومـــن حـــانوت خَمـــار إلى كرمـــة بســـتانِ

❁ ومثال أبياته الرصينة ذات البناء الموسيقى التقليدى الباذخ، قوله :

سقانى رحيق الشمس من تبر كرمِهِ

وعلق فى أهداب ليلى كواكبَهْ

ومثال أبيات قصائده ذات الإيقاعات الراقصة القصيرة :

هفت إليه وغنت .. وللوصال تمنتْ

شقت دروب الدياجى .. وكابدت .. وتعنتْ

❁ من جهة أخرى يحسن الشاعر فوزى أمين استخدام القافية كأداة هامة للإيقاع. ويقول الدكتور حسنى عبدالجليل يوسف فى كتابه علم القافية عند القدماء والمحدثين الصادر عن مؤسسة المختار عام ٢٠٠٥ ص٤٧ " القافية ركن مهم من أركان الشعر العربى وتمثل علاقة بين الأبيات فى الشعر العمودى .. وقد لازمت القافية الشعر العربى على مر العصور وكانت جزءًا من الهندسة الصوتية للقصيدة العربية . وإذا كانت القافية تمثل نسقا من الأصوات التى تتكرر فى نهايات الأبيات ؛ فإن هذا التكرار يعد ركنا مهما للإيقاع فى الشعر فهى تشبه الفاصلة الموسيقية التى تتردد وتتكرر فتؤثر فى المُتَلَقِّى وتعمق من الإحساس بإيقاع الشعر ".

ويوضح الدكتور حسن عبدالحليم فى صفحة ١١٥ من كتابه سالف البيان أن :
"القافية ما يلزم تكراره فى أواخر الأبيات من أحرف وحركات ، وسميت قافية لأن الشاعر يقفوها (أى يتبعها ولأنها تقفو ما قبلها أى تتبعه) . وهى نسق من الحروف المتحركة تبدأ من آخر متحرك قبل آخر ساكنين فى البيت ... ويرى القدماء أن القافية شريكة الوزن فى الاختصاص بالشعر ولا يسمى الشعر شعرا حتى يكون له وزن وقافية ، كما قال ابن رشيق فى العمدة).
– وفوزى أمين يكتب أساسا القصيدة العمودية ذات القافية الواحدة ولكنه أيضاً ينوع القوافى فى بعض قصائده بحيث تشتمل القصيدة على مقاطع لكل مقطع منه قافيته المستقلة. ومن شأن هذا أن يثرى موسيقاه وينوع إيقاعاته . وهو اتجاه يحظى باحترام الشعراء والنقاد فى عصرنا الحديث ، وقد انتشر ، وأصبح أمرا طبيعيا أن تزخر دواوين الشعراء بقصائد تتنوع فيها القوافى .. ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى هذا الصدد : " والذى نعتقده أن تنويع القوافى للشعر العربى خير من إرساله بغير قافية (كما فعل البعض ومنهم عبدالرحمن شكرى وجميل صدقى الزهاوى وغيرهما) وأن الشعر العربى يقبل التنويع فى أوزانه

المصاريع والمقطوعات على أسلوب الموشحات فيتسع للمعانى المختلفة والموضوعات المطولة ولا ينفصل عن الموسيقية التى نشأ فيها ودرج عليها " . هذا ما قاله الأستاذ العقاد وأورده الدكتور عبدالجليل فى مؤلفه "علم القافية" سالف البيان صـ١١٥ وما بعدها .

ومن قصائد فوزى أمين التى نوع فيها القوافى قصيدة (من مواجد قيس) فهى مكونة من ثلاثة أجزاء لكل جزء منها قافية مستقلة ، وقصيدته (فى القيد) وكلا القصيدتين من ديوان "الفارس والكهف" والأخيرة ذات تشكيل موسيقى خاص تتنوع فيه القوافى وتختلف من مقطع لمقطع. ونظرا لبنائها الإيقاعى الخاص والمختلف يجدر بنا أن نوردها كاملة فيما يلى :

ضـيعتُ والعـام عـام جـوعْ

مـا كـان مـن زادى

ومـا لطيـب الجنـى رجـوع

إلا بميعـــــــــــاد ...!!

مقـدراتٌ هـى الـدموْع

وزفـرة الوجـد فـى الضـلوع

وخفقـة الهـالع الولـوع

فـى ليـل أصـفادى

۞۞۞

مـن كـوَّةِ الليـل لاح نـورْ

فقلـــــت : ذا فجـــــرى

أنـــىّ إلى أفقـــه الطهـــور

يطـــــير بـــــى طـــــيرى

أدور والقيـــد بـــى يـــدور

أســـــائل الشـــط والبحـــور

أمـــا لشـــمس المنـــى ســـفور

علـــى ربـــى العمـــر ؟!

۞۞۞

لـــو أننـــى مطلـــق الســـراحْ

لكـــــان لى شـــــأوى

وطـــار بـــى للـــذرى جنـــاح

فـــــى جنـــــة الشـــــدو

لكـــن أحلامـــىَ الفســـاحْ

نـــاءت بأشـــواقها الريـــاح

وردَّهـــا الليـــل والصـــباح

شـــــــليلة الخطـــــــوِ

۞۞۞

صـــرخت : ياخـــالق الســـرابْ

وخـــــــــالق الـــــــــرىِّ

أعطيتنـــــى نهمـــــة الرغـــــاب

ووجْـــــــــدَ صـــــــــوفىِّ

وقلـــت لى : دونـــك الشـــرابْ

أدنـــــو فينـــــأى بـــــى الـــــتراب

أوّاه مـــــن قســـــوة العـــــذاب

فـــــى النشـــــر والطـــــىِّ

۞۞۞

مـــا حيلتـــى يـــاربى الشـــروق

إن غـــــــام إبصـــــــارى ؟!

وبيـــــدرى ينبـــــت العقـــــوق

وســـــــــــــوأتى دارى !!

حلـــم وراء المـــدى يـــروقْ

وصـــرخة الطـــين فـــى العـــروق

لـــو كـــان لى مـــن دمـــى مـــروق

لمـــــا خبـــــت نـــــارى

- **ومن ذات الديوان (الفارس والكهف) قصيدةٌ أغنيـة لطفلتـى**" التى تتنوع فيها القوافى أيضاً من مقطع لمقطع . وهذه المقاطع عبارة عن رباعيات . فكل مقطع يتكون من أربعة أبيات بقافية خاصة أما المقطع الأول فهو مكون من سبعة أبيات استثناءً والأبيات الثلاثة الأُولى منه قافيتها مختلفة عن قافية الأربعة أبيات الأخرى من المقطع .
- **أما قصيدة أغنية على الطريق من ديوان الفارس والكهف** أيضاً فتنطوى على بناء موسيقى مختلف تتنوع فيه القوافى بشكل خاص مبتكر ، فكل مقطع مكون من سبعة أبيات : الخمسة الأولى لها قافية مستقلة ، والبيتان الأخيران فى جميع المقاطع من قافية واحدة .
- **أمـا قصـيدة شـجر الأسـحار** " وهـى مـن ذات الـديوان فهـى مكونـة مـن رباعيات لكل رباعية قافيتها الخاصة .
- **ومن ذات الديوان قصيدة "هكذا مضى** " وهى مكونة من مقاطع ، يتكون كل مقطع منها من عدد من الأبيات (والمقاطع غير متساوية فى عدد

أبياتها). وكل مقطع يختتم ببيتين من قافية مغايرة لقافية المقطع، ولكن هذان البيتان الختاميان فى كل مقطع قافيتهما موحدة فى كل مقاطع القصيدة .

- **وهكذا استخدم فوزى أمين** القافية فى تشكيل قصائده من ألوان إيقاعية مختلفة ، ونوع فى قوافى القصيدة بطريق أو بآخر على نحو أثرى موسيقاه وبعد بها عن الرتابة وأكد قدرة القصيدة العمودية على امتلاك أنغام غير محدودة . وهو ما لاحظه الشاعر الناقد الدكتور سعد دعبيس الذى يقول فى ختام بحثه السابقة الإشارة إليه من أبرز الظواهر الموسيقية فى شعر فوزى أمين تنويع القوافى كما يبدو فى قصائده "أغنية لطفلتى" ، " أهكذا أمضى" كما أن معظم بحور الشعر الخليلية ماثلة فى شعره.

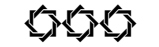

المبحث الثالث

المضمون (المعانى والأغراض)

يتنوع مضمون شعر فوزى أمين خلال تجربته الشعرية العريضة ، فهو يكتب فى أغراض مختلفة تتناول الحب والوطنية والقومية والسياسة والصوفية والوصف والفخر والفلسفة والتأمل . وهو إذ يعالج هذه الأغراض يزخر شعره بالمعانى المتنوعة والرؤى الخاصة والقيم التى يدافع عنها في رحلة الحياة.

أولا: الشعر العاطفى الذاتى

- عبر شاعرنا عن عاطفة الحب التى يكنها لمن أسرن قلبه في رحلة حياته من الحبيبات أو لعلها حبيبة واحدة كتب لها كل الشعر العاطفى. عبر عن ذلك، في عدد من القصائد الباكرة التى كتبها في مرحلة الصبا والشباب ومنها قصائده: ليلى، عالق بالذرى، رشفة المعجل. وهى ليست كلها محض غزل أو تعبير مباشر صريح عن تجربة حب محددة أو عن الحبيبة وحدها، وإنما نلاحظ أن بعض القصائد – رغم احتوائها على ذلك المضمون – تكتسى بثوب شفيف رمزى أحيانا، أو ملون بألوان الحكمة والتأمل في الحياة والوجود والنفس الإنسانية أحيانا أخرى. وهو ما يميز قصيدة هذا الشاعر الغزلية أو العاطفية.
- يقول في قصيدته « ليلى » :

أفنيـــــــت خـــــــيلا وخـــــــيلاَ
أبليـــــــت صـــــــبحاً ولـــــــيلا
ومـــــــا وجـــــــدت ســـــــبيلى
لقـــــــرة العـــــــين « ليلـــــــى »
«ليلـــــــى » هـــــــوى العشـــــــاق

ومصـــــــحف الحـــــــب يتلـــــــى

تحـــــــير العقـــــــل فيهـــــــا...
في مقلتيهـــــــــــا... وفيهـــــــــــا
وفتنـــــــــــــة تخفيهـــــــــــا...
وفتنـــــــــــــة تتجلـــــــــــــى

صـــــــــرخت في ظلمـــــــــــاتى
رُدى علـــــــــــى حيـــــــــــاتى
الهجـــــــــر كالليـــــــــل عـــــــاتى
والعمـــــــــــــر مـــــــــــــائَمَ إلا

حَـــــــرُّ الجـــــــوى لا يطـــــــاقُ
والـــــــــدمع نـــــــار تـــــــراق
ألثمـــــــــــــةُ أو عنـــــــــــاق
يكـــــــون بـــــــردا... وظـــــــلا ؟!

قالـــــــت: نطقـــــــت عظيمَـــــــا
فقلـــــــت: رمـــــــت نعيمَـــــــا
قالـــــــت: عجـــــــزت قـــــــديما
فقلـــــــت: مـــــــن مَـــــــلَّ مُـــــــلاّ

ســـــــيفُ الجمـــــــال الصـــــــقيلُ
عليـــــــه عمـــــــرى يســـــــيلُ

دم المحـــــــــب قليـــــــــل
إن صـــــــار للحـــــــب أهـــــــلا

مضـــــــى المحبـــــــون قبلـــــــى
وهـــــام مـــــن هـــــام مثلـــــى
وهـــــم مـــــن هـــــم لكـــــن
لمـــــا تـــــدانى.... تَـــــدَلَّى

وفى قصيدته « عالق بالذرى» يقول فوزى أمين:

يـــا حبيبـــى كمـــا تـــرى ... لاعـــجُ الشـــوق قـــد بَـــرَى
ســـؤت في النـــاس مظهـــرا ... ســـاءنى النـــاس مخـــبرا
قـــال قـــوم: مُسَـــحَّرٌ ... قـــال قـــوم: تحـــيرا
وأنـــا بعـــدُ عاشـــق ... بـــاع بالحـــب واشـــترى

في ردائـــى مجـــنح ... عـــالق منـــك بالـــذرى
رفـــض الســـتر ملبســـا ... وأبـــى الليـــل معـــبرا
وتعـــرى ببوحـــه ... ليُـــرِى بعـــض مـــا يَـــرَى
أغـــدا الطهـــر مأثمـــا ... أم غـــدا الصـــدقُ منكـــرا؟!

يـــا حبيبـــى.. ومـــا درى ... عنـــك مـــن قـــال وافـــترَى
فاعـــذر النـــاس إنمـــا ... جـــدهم آدم الثـــرى
نـــاء بـــالنور ليلـــة ... فجـــرى كـــل مـــا جـــرى !!

ورغم أن القصيدة عاطفية بالقطع يخاطب فيها حبيبه ويناجيه ويبثه أشواقه إلا أنه في نفس الوقت يتحدث عن الناس وسوء ظنهم وافترائهم على العاشقين ويتساءل هل الطهر غدا إثما وأصبح الصدق بينهم منكرا... وهو في النهاية يعذر هؤلاء الناس فهم أحفاد آدم الذى هبط من الجنة إلى التراب ولم يتحمل النور فهبط إلى الظلام.

وأما قصيدته « رشفة المُعْجَل » فهى قصيدة رومانسية رشيقة كتبت في مرحلة الشباب وفيها يغازل حبيبته ويحدثها عن حنينه لها ويصفها بربيع الفؤاد وسر الشروق وفتاة الأحلام ويختتم القصيدة بتشبثه بحلمه:

رجعت إليك فلا تسألى ... بماذا رجعتُ... ولا تجفلى
ولا تنكرى أَن رأيتِ الشباب ... ذبولا، فحبك لم يذبل
ومازلت أنت ربيع الفؤاد ... كما كنت في الزمن الأول
ومازلت في الفجر سر الشروق ... أراك وراء السَّنا المقبلِ
وفى الليل ما زلت ترنيمة ... ترف على صمتى المسدل
تداعب أحلامى الغافيات ... فتثمر بالحب والسنبل
فلا تبعدى بعد، ضاع الزمان ... فهل ليَ في رشفة المعجل ؟!

سنون مضت يالطول السنين ... ببعدك.. يا ضيعة المأمل
تغربت عنك فلم ابتسم ... ليوم، ولم أَرْوَ من منهل
يجرِّرُنى في النهار الضياع ... ويقذف بى الليل في مرجل
ولكننى رغم كل العذاب ... ورغم الجراحات والعذل
تشبثت بالحلم لم تنطفئ ... له جذوة ثَمَّ في مشعلى

وأخيرا فثمة قصيدة مراوغة لشاعرنا يمكن أن تكون قصيدة عاطفية للمحبوبة، ويمكن أيضا أن تكون قصيدة رمزية يرمز فيها للوطن أو لقيمة يعتز بها الشاعر تلك هى قصيدة فوزى أمين : « من محكم التبريح » . وهى قصيدة ذات صياغة فخمة وبناء موسيقى باذخ.. في الأبيات الثلاثة الأولى منها يخاطب ليلاه بقلب ملهوف معبرا عن حبه فيقول:

البدءُ أنت، وفى عينيك ميقاتى يفنى الزمان وما تفنى لُباناتى
مسافر في بحار الوجد ما برحت بىَ النهايات تفضى للبدايات
كل الشواطئ في بحر الهوى حُلُمٌ يبثه البحر موجات لموجات

ولكنه بعد هذه الأبيات التى تقطر حبا خالصا يتساءل كيف يلتقى بحبيبته (الحقيقية أو الرمز) في الوقت الذى يطلب قومه دمه... ويشتعل من حوله إفك الوشاية.. وهو يمعن في الثبات ويصد عنها الغريم:

ليلاىَ.. يا عمر أشواقى ويا زمنًا
إليه أحتثُّ أيامى وليلاتى

كيف اللقاء وقومى يطلبون دمى
والنار حولىَ من إفك الوشايات

أصدُّ عنك !! وما من راية رفعت
في العشق إلا على آثار راياتى

وقد يوحى البيتان الأخيران بأن الحبيبة التى يناجيها قد لا تكون معشوقته الحقيقية وإنما هى الوطن مثلا. على أى حال يستمر الشاعر في مخاطبة حبيبته، ويستطرد في المبالغة التى نلحظها في البيت الأخير السابق معتزا بحبه مفاخرا

بعطائه ومواقفه واصفا الشعر بالمصحف وقصائده بالآيات مبشرا بزمان الحب وجنة العشق:

مُكَـــذَّبٌ في غـــرام صـــبحه أَرَجٌ
في مصـحف الشـعر كانـت منـه آيـاتى

تلَـوْنُ منـه علـى سمـع الـورى سـورا
في معجـز الحسـن مـن وحـى الصـبابات

رتلـت مـن محكـم التـبريح مـا سـجعت
بـــه الحمـــائم ؛ نايـــات لنايـــات

مبشـــرا بزمـــان الحـــب، عالمـــه
مراشـــف النـــور أو خضـــر الحكايـــات

بجنـــة لـــيس فيهـــا لغـــو مختلـــق
مـــا ثـــم غـــير التصـــافى والصَـــفِيَّاتِ

فـــلا يوســـوس شـــيطان بحيتـــه
ولا تكشَّـــفُ ســـوءات لســـوءات

ثم يعود الشاعر لإدانة قومه الذين تتبعوه بسيوف الجهل وعتوا على حبه واتهموه بما هو برى منه:

لكـن قـومى – أقـال الله عثرتهم– تكنفـونى بأسـياف الجهـالات

عتـوا علـى الحـب أكبـادا مغلظـة وأنفسـا مـن هواهـا في عمايـاتِ
قالوا: تصدى ولم أشرع سوى كلم موطآت الجوى زغب الضراعات
قالوا: تعدى.. وما جاوزت في قدسى إلا الدنيـــة في دنيـــا الـــدنيات
قالوا تحدى.. وما أمرى سوى رجل في البوح لم يرع أسرار الكهانات

وفى ختام القصيدة يتشبث بليلاه، غير آبه بمن كذبوه مؤكدا أن قومه إن أراقوا دمه ظلما فسوف ينالهم الغضب والإنتقام :

قلبـى ولـيلاه أو بـوءوا بمـأثمكم لله ورد الهـــوى لا للغوايـــات
فإنْ أُكَذَّب – وما ليلاى – عاتبةٌ – فقَبْلُ كُـذِّبَ أصحاب الرسالات
وفى دمى–إن أرقتم ظالمين دمى– نبـوءة تتجلـى مـن نبـوءاتى
وصـيحة بهـزيم المـوت راجفـة الأرض منها على كف السموات

وأخيرا يكتب الشاعر لابنته آمال قصيدة عاطفية رقيقة بعنوان « أغنية لطفلتى» بمناسبة ميلادها يخشع فيها لجلال الله وقدرته، ويعُّدها السلوى إزاء هجره وطنه مضطراً ، ويد الرحمة التى أرسلها الله لتأسو جراحه:

قبـل أن يسـجد لله مـن الخلـق مَلَـكْ
قبل أن يسرج بالضوء من الأفق فَلَكْ
قبل أن يدرك « ما قبل » ضياء وحَلَكْ
يا ابنتى كنتِ وجودا.. كنت روحا مُبْصِرهْ
قطـرة تنسـاب إشـراقا ببحـر المقـدرهْ
نبعـت مـن كلمـة ثـم انثنـت منحـدرة
لغـــد يرقبهـــا في اللحظـــة المُنْتَظَـــرةْ

ربمـا كنـت نـداء الله «يـا آدم كُـنْ»
قبـل أن تنـبض بالسـمع مـن الكـون أذن
ربما كنت له السلوى على هجر الوطن
أو يـد الرحمـة تأسـو جرحـه أَنَّـى سـكن

ثم يعرج الشاعر على أسرار الروح والوجود ويتأمل حكمة الخلق ويختم القصيدة بأن ميلاد ابنته كان آية أبصر فيها الله فآمن أو إزداد إيمانا.

يـا ابنتـى .. ياأنـت ياعمر المـدى والأزلِ
أى سر فيـك مـن سر الوجـود المشـكل ؟!
هـذه الأرض تُراهـا خلقـت كـى تقبلـى ؟!
وأنا هل كنت فـى الرحلـة درب المـدخل

ياابنتى .. يابسمة الحلْم على آفاق عمرى
ياجنى شوق رواه السهد فى واحـة صبرى
كلمـا أبصـرت فيـك الله آمنـت بـدورى
وحمـدت الله أن كنـت أنـا جسـر الممـرِّ

۞۞۞

ثانيا: الشعر الوطني والقومي

زخر ديوانا الشاعر فوزى أمين بالأشعار الوطنية والقومية المليئة بالمرارة من تدنى الأوضاع في الوطن العربى وتكالب الأعداء عليه والأهوال التى تواجهها شعوبه في فلسطين والعراق، نتيجة العدوان الإسرائيلى والأمريكي.. والمعاناه التى تلاقيها شعوبه نتيجة تسلط حكامه وما تتعرض له الحرية والعدل في تلك البلاد التى كانت مهدا للحضارة وساحة للمجد... ولا تخلو قصائد شاعرنا من سخرية لاذعة وإدانة للشعوب العربية التى لا تقاوم الظلم ولا تدافع عن تاريخها وكرامتها. عندما فوجئ الشاعر بعقوق بعض الأنظمة العربية لمصر وتضحياتها من أجل فلسطين والحقوق العربية وجحدها لدورها المجيد في قيادة الوطن العربى كتب قصيدته « عقوق النهار » وفيها يقول:

فكـوا عـن الشـمس قيـود المـدارْ
كفـى بهـا جرحـا عقـوق النهـارْ
فمـا عنـاء الشـمس إن لم تكـن
عـين تـرى أو مقلـة تسـتثار ؟!
ردوا عليهـا ضـوءها... إنـه
دم تلظـى في مـآقى المسـار
لم تنصـفوا في الأم إن تهـدروا
أشـواقها في جاحـدات القفـار
فأكرموهـا واذكـروا فضـلها
لحـم الربـى منهـا... ومنهـا الـدثار
أعطـت ولم تلغـط بمثـل الـذى
يؤزنـا مـن فلسـفات الصـغار
والشـرق... كـان الشـرق في أمسـها

مجلـــى نشـــور للشـــذى وانتشـــار

أما في قصيدته « ماذا هناك في بغداد» فيتناول مأساتها الحديثة وتخلى أبنائها وأبطالها عنها ، وهزائمها واحتلالها ونهبها والأهوال التى لا قاها أبناؤها بعد الغزو الأمريكى لها والحرب الأهلية التى مزقت جنباتها وروعت أهلها وأجرت دماء بنيها أنهارا . ويبكى الشاعر تاريخ بغداد وأمجادها وحضارتها.. ويقول إنها صارت مضيعة منهوبة مسلوبة مثل قرطبة والأندلس والقدس العربية.

ويلقى باللوم على قومه الذين تخلوا عن دينهم وقيمه العظيمة.. وعلى طغاتهم الذين ساموا شعوبهم العذاب وغرقوا في الملذات الآثمة لاهين عن مصير تلك الشعوب وحقوقها فحق عليهم العذاب.. ويسأل الشاعر بغداد في النهاية ماذا تريد وقد رحل طغاتها وحل محلهم الطغاة الجدد:

سدى تنادين !! أبطال الوغى رقدوا
مـــا ثـــم إلا غثـــاء الســـيل والزَّبَـــدُ
كـــل الصـــناديد جـــرذان مفزعـــة
وكـــل ســـيف بغمـــد الخـــوف يرتعـــد
بغـداد ياجبهـة الشـرق انقضـى زمـن
للحـرب كـان لـواء الشـرق ينعقـد
فـــلا ترجـــى بليـــل التيـــه بارقـــة
ولا تقـولى: غـدا.. مـا للضـياع غـد
أسـوار « بغـداد» أم أسـوار « قرطبـة»
أم أنها « القدس» في الأصفاد تبتعد
أم أننـــا لم نـــزل في يـــم مســـتلب
عليـه «مقتـدر» يطفـو و « معتضـد» ؟!

فـم يرائـى علـى حَبَّـاتِ مسـبحة
ولحيـة في ثمـال الكـأس تـبترد
لاتظلمـوا الـدين..ما قـال الإلـه لكـم:
صلوا لغيرى..، ولا في زيفه اعتقدوا
لكـنكم وعيـون الشـمس مغمضـة
إلى يـد أسـلمتكم بـالهوان يَـدُ
تعبـدتكم.. لغـير الله.. شـرذمة
إن أذن الكـأس في ليلاتهم سجدوا
حـل لهـم كـل صيد.. مـا أتيح لهـم..
مـا صدهم عـن هـوى ديـن ولا رشـد
قـالوا لـه، وخيـول المـوت زاحفـة
: إلى متـى أنـت واللـذات والرغـد
ليـل الخلافـة مخمـور وغانيـة
والناس في الجوع صرعى ما لها عدد
فقـال: إرثـى، وكـل الأرض مملكتـى
والناس لى خـدم، والـدين لى سند!
قيـل: ادخلـي يـا خيـول المـوت
فاقتحمى .. داء بداء، وجلاد بمـن جلدوا
أتلـك قصـة مـاض أم حـديث غـد ؟!
أم تلـك روح لهـا تاريخنـا جسـد ؟!
ماذا هنالك في بغداد؟!..فيض دم ؟!
وهـل علـى غيره قامـت لهـا عمـد ؟!
مـن الجمـاجم قـد نضـت مآذنهـا !!
ومـن نجيـع بسـاط اللـهو والوسـد

والنعل فوق رقاب الناس ما وجدوا
والنطع والسيف إن باحوا بما وجدوا
يفيض « دجلة» ماء أم يفيض دما
أم أنه دمع من أوذوا ومن فقدوا ؟!
سيان في الذل قيد حبله نضر
من الحرير.. وقيد حبله مسد
والعبد سلعة نخاس فليس له
إلا الخضوع لمن يشرى وينتقدُ
فمن تنادين يا بغداد ؟! سادتنا
طاروا شعاعا، وجاء السادة الجدد!

ويدين الشاعر فوزي أمين الواقع العربي المخزي في قصيدة أخرى بعنوان: « يا خيول التتار فاقتحمي ».. يدين الذين تخلوا عن الدم المستباح ولم يثأروا له أو يحفظوا له كرامته.. ويدين السلام الذليل ، ويحذر الآمة العربية من قبوله.. ويقول إننا جميعا مقصرون وكلنا ملوثوا الأيادي بدماء الشهداء ، ودماء التاريخ والمجد العربيين، وكلنا قبلنا الهوان راضين بالتخلف والبقاء في أماكننا مكتفين بالبكاء على الأطلال مستسلمين للعجز والطغيان بينما العالم يتقدم وينطلق نحو الحرية والعدل والكرامة والرخاء:

الدم المستباحُ من خذلهْ ؟! **والسَّلامُ الهوانُ من قَبِلَهُ ؟!**
لا تُراعوا فلا أسائلكم **قد يَدينُ السؤالُ من سأله**
لا تُرَاعُوا فقد مضي زمنٌ **فيه يُخفِي مقصِّرٌ خجله**
من تراه نظيفةٌ يده ؟! **من تراه ؟! وكلُّنا قَتَلَهْ ؟!**
نحن !! من نحن ؟ أُمَّةٌ قبعت **في شعاب الهوان مُكْتَهِله**

دارت الأرض حولهـا، وهـى مـا ... زالـت شـتَاتَ القبائـل الَخلِطـة
غـــدُهَا خلفَهـــا، وســـؤدُدُها ... طيفُ ماضٍ نبكى – المدى – طَلَلَهْ
تســـتغيث الأجْـــداُثُ ضـــارعةً ... وتصـــلِّى للمـــوت مبْتَهِلَـــه
تنبـــت العجـــزَ أرضُـــها خطبـــاً ... مُشْـــعَلاَتٍ، وأنفســـاً وَجِلَـــه
يمطـــر القهـــرَ نووُهـــا ؛ مَلَقـــاً ... وطغـــاةً، نعـــلاً ومنتعِلَـــه

نحـن !! مـن نحـن ؟ أمـة شمخـت ... بأســـاطير مجـــدِها جَذِلَـــة
ليلـــها ســـاهِرٌ علـــى وتـــر ... وعليهـــا تـــداعت الأكَلَـــة
نرقـــب الله أن يجـــئ، ولـــن ... نبصـــر الله، أو نـــرى ظُلَلَـــه
لا يـــرى الله أمَّـــةً رفلـــت ... في خناهـــا وأسْـــبَغَت حُلَلَـــه

يـــا خيـــول التتـــار فـــاقتحمي ... لا ترعْـــكِ الحنـــاجر الصَّـــهلَه
أحكمـــي القتـــل ؛ إنـــه ســـرف ... أن يعـــيش الأراذل الجهلـــة
وادخلـــي، نـــام حـــارس تَعِـــبُ ... وبســـمَّارِها الربـــي ثملـــة
كـــل أبوابنـــا مفتَّحـــةٌ ... وســـتورُ الظـــلام منســـدله

– وفـى قصـيدة « أحـزان إيـزيس » يتنـاول الشـاعر فـوزي أمـين أسـطورة إيـزيس وأوزوريـس ويهيـب بـإيزيس أن تـنهض وتنجـز معجزة البعـث وتحررنـا مـن اليـأس والعجز.. وكعادته ينقد الشاعر مجتمعه ويجلده ويدينه فقد تخلي عن الطهر والعفة والتقوى وخان مبادئه وغاصت أقدام بنيه في الوحل وحتى ساحة كهانه لم تبرأ من هذا السقوط:

الـــدمع مـــن عينيـــك لا يرقـــأُ
وصـــرخة الأحـــزان لا تهـــدأُ

في يَمِّـكِ المسـحور ضـاع المـدى
والحلـــم، والمجـــداف والمرفـــأ
ومـــات نـــبض في عـــروق الثـــرى
فضـــنَّ حقـــلٌ بالـــذي يخبـــأ
كيـــف اســـتباح الشـــرُّ ربَّ الربـــي
وكـــان منـــه الحصـــن والملجـــأ ؟!
« أوزيـــر » لا تَبْعـــدْ فقـــد غالنـــا
مـــن بعـــدك الجـــدب ولا يفتـــأ
يـــا ظلمـــة الليـــل أمـــا نجمـــة
تهـــدى فـــؤادا نجمـــه مطفـــأ ؟!
ويـــا رُبَـــي الجـــدب أمـــا زهـــرةٌ
يطـــلُّ منهـــا وجهُـــهُ الأضـــواأُ ؟!
قـــد طـــال درب الـــدمع، لا ينتهـــي
إلا لـــــــدمع دربـــــــه يبـــــــدأ
مـــن يبعـــث الغائـــب مـــن رقـــدة
ويرتـــق القلـــبَ الـــذي هـــرَّأ ؟!
مـــن يجـــترى، والفجـــر في قيـــده
لوثبـــةٍ في الأفـــق لا يجـــرؤ ؟!
إيـــزيس صـــفحا... لم يعـــد عنـــدنا
إلا حكايـــــا صـــــبحها مرجـــــأ
علـــى ســـفوح الـــوهم قـــد أعشـــبت
وفـــى دثـــار اليـــأس تســـتدفئ

نقـــول: يأتينـــا غـــدٌ بـــالمنى
فســـــــاءنا الأردأ والأســـــــوأ
والفـــارس الموعـــود في كهفـــه
علـــى أَثَـــافِي عجـــزة مكفـــأ
غـــدٌ.. ومـــاذا في طوايـــا غـــد
وغرســـنا بـــالحلم لا ينبـــئ ؟!
ونحـــن... لا طهـــرٌ ولا عفَّـــةٌ
ولا تُقًـــي يرجـــى... ولا مبـــدأ
غاصـــت بوحـــل الإثـــم أقـــدامنا
وســـاحة الكهـــان لا تـــبرأ
فـــلا ترومـــي بيننـــا مـــن يعـــي
مـــا في كتـــاب الحـــق أو يقـــرأ
لا تبصـــر الأعـــين معصـــوبةً
ولا يرجَّـــى النَّصـــلُ إذ يصـــدأ

وهكذا يزخر ديوانا فوزى أمين بالشعر الوطنى والقومى صريحا واضحا قاطعا أحيانا ، معتمداً على شئ من الرمز والإسقاط أحيانا أخرى .

ثالثا: سيرة أبى نواس وزمانه

وإسقاطها على الواقع

- خصص الشاعر فوزي أمين أحد ديوانيه لسيرة الشاعر العباسى الكبير أبى نواس وأسماه « عناقيد من كرمة ابن هانئ » . وقصائد الديوان تتناول جانبا من حياة أبى نواس، فالشاعر يتحدث عن الشخصيات الأساسية في حياته ويحاورها: « والبه بن الحباب » أستاذه الذي علمه الشعر والتمرد والمجون، وأمه « جلبان » التي ربته ودفعته إلى الكُتَّاب صبيا ولما مات زوجها نسبت إليها المباذل والرقص في الحانات وبيع الهوى للرجال والنساء داخل بيتها، ثم حبيبته « جنان »[٢١].
- « وأبو نواس » من أكبر الشعراء العرب على مدى العصور والشائع أنه ولد عام ١٣٩ هـ على الراجح في إحدى قرى الأهواز وتوفى عام ١٩٠ هـ ولكن تاريخ ميلاده وتاريخ وفاته محل خلاف بين الباحثين والمؤرخين.
- هو الحسن بن هانئ من أشهر الشعراء العباسيين نبغ منذ صباه وتتلمذ على الشاعر والبة بن الحباب وأخذ عنه المجون كذلك، استقر ببغداد ومدح الخلفاء والأمراء العباسيين خاصة « الأمين » وأكثر شعره في الخمر والمدح والفخر كما اتصل بالراوية خَلفَ الأحمر الذي حفظ عنه الشعر وتعلم منه كيف يجود شعره.
- وأبو نواس من كبار المجددين في المضمون الشعري وقد دعا بقوة للخروج على تقاليد القصيدة العربية الجاهلية [٢٢] كالبكاء على الأطلال وبدء القصيدة بالنسيب والغزل.
- وهو فارسى الأم ، والأب أيضا، وقد التبس الأمر لدى بعض الباحثين فظنوا أن والده عربى من أهل الشام أو عراقى من أهل البصرة أو أن جذوره يمنية مثل كنيته. والصحيح أنه كان مولى فارسيا من موالى الجراح

بن عبد الله الحكمى والى خراسان في عهد عمر بن عبد العزيز وانتظم في جند الخلافة ونزل مع فريق منهم بالأهواز في عهد مروان بن محمد وهناك تعرف على جارية فارسية تسمى جلبان فاقترن بها ورزق منها عدة أولاد منهم أبو نواس، ولم يكد يبلغ السادسة من عمره حتى توفى أبوه فنقلته أمه إلى البصرة، وقامت على تربيته ودفعته إلى الكتاب فحفظ القرآن وأطرافا من الشعر وتفتحت موهبته.... وساقه القدر وهو صبى ليتعرف على والبه بن الحباب أحد مجان الكوفة وشعرائها المشهورين فاستظرفه وحثه على أن يرافقه إلى الكوفة ولم يتردد الغلام فمضى معه.... وربما كان من دوافع رحلته معه وإغراقه – فيما بعد – في المجون أنه كانت تؤذيه سيرة أمه في البصرة، فارتحل معه وأخذ يعب من الخمر كى ينسَى أمه ووقع في حبائل شيطان كبير (والبه) غمسه في كل ما كان يقع منه من خطايا وآثام هو ورفاقه مجان الكوفة [٢٣].

- وفى ديوان فوزى أمين « عناقيد من كرمة ابن هانئ » يتناول جوانب من حياة أبى نواس وجوانب من شخصية أمه وأستاذه وحبيبته ويرسم لكل منهم لوحة يضفى عليها رؤاه . في قصيدته « جلبان » [٢٤] التى تحمل اسم أمه يقول فوزى أمين على لسان أبى نواس واضعاً قناعه:

«جُلْبَانُ».. كانت.. ولم تزل همى
يدمى شذاها.. وريحها تدمى !
ماأرضعتنى أثداء رحلتها
في القهر إلا مرارة اليتم !
فتحت عينى على مباذلها
تبيع للناس خلسة الوهم
يحط بالطير فوق عشتها
ليل يغنى بالزير والبم

يطـــير ســـرب بـــيض قوادمـــه
يحـــط ســـرب القـــوادم الســـحم
جـــــوارح لا تنـــــى مداهمـــــة
للصـــيد بـــالمخلبين والخطـــم
وتثنـــى بـــالطوى.. ومـــا تركـــت
مـــن صـــيدها غـــير ناشـــز العظـــم
جلبـــان تســـقى النبيـــذ متعبـــة
جلبـان تـذكى الأوار في الفحـم !!
جلبـــان هـــاتى.. تميـــل معطيـــة
مـــن لحمهـــا في شـــرائح اللحـــم !!
جلبـــان صـــبى.. تصـــب أدمعهـــا
وينتشـــــى عِلْيَـــــهُ مـــــن القـــــوم
جلبـــان هيـــا.. جلبـــان راقصـــة
جلبـــان مـــوت يهتـــز في جســـم
قالـت: تـروم النجـوم ؟ قلـت لهـا:
كـــم ذا نعنـــى بومضـــة الحلـــم
الحلـم.. حتـى عليـه لـيس لنـا
مـــن طاقـــة إن أطـــاف أو عـــزم
أرض الأرقـــاء مـــا لهـــا أفـــق
ولا سمـــــا طرفهـــــا إلى نجـــــم
بـــالرغم منـــى.. أراك راســـفة
في القيـد ؛ يـوم يفضـى إلى يـوم

لــو أن حربــا تــديل مــن زمنــى
أوتــرت قوســا بأضــلعى ترمــى
لكننـــــى... والريـــــاح قـــــاهرة
أغضــى... ومــالى عليــك مــن لــوم
أمــى... ولــيس العقــوق مــن خلقــى
مهمــا أذيلــت فإنهــا أمــى... !!

وفى قصيدته « والبه» يجرى الشاعر فوزى أمين حوارا بين فتاة وبين أبى نواس حول أستاذه الشاعر الماجن « والبه بن الحباب »: فالفتاه تعاتبه وتلومه لمصاحبته هذا الفاسق، وأبو نواس يدافع عنه ويعد أفضاله عليه:

تشــيح بوجــه ثــم تــدنو معاتبَــةْ
وحتى متى تمضى على درب والبهْ؟
فقلــت: ذرى مــا تجهلــين.. فمــا أرى
لوالبــة مــثلا مــن النــاس قاطبــه
سقانى رحيق الشمس من تبر كرمه
وعلــق في أهــداب ليلــى كواكبــه
وعرفنــى بابــا مــن الســحر لم يــزل
يكشــف لى في كــل يــوم عجائبــه
تعنــت.. ولم تفهــم.. فراحــت تسبنى
وقالــت: إذن دعــواك في الحــب كاذبــه
وقالــت جــوارى القصــر لمــا رأينهــا:
لقد ذهبت غضبى وعادت مغاضبه

وفى المقاطع الأخيرة من ذات القصيدة يقول فوزى أمين على لسان أبى نواس إنه تذكر «والبه» وتذكر أفضاله عليه:

وعـادتنىَ الـذكرى طيوبـا نديـةً
فقلـت: رعـاك الله ياعهـد والبـهْ
بـأى عـبير منـك ضـاعت خمـائلى ؟!
وأى مـراح منـك يـدنى ملاعبـه ؟!
وأيـة أطيـار شـفيف غناؤهـا
ترف علـى أفقـى.. وتحنـو مداعبـه ؟!

ثم يقول فوزى أمين على لسان أبى نواس إنه طرق باب الحانة على والبه فباح الأخير له بأسراره ، ونفى أن يكون ماجنا، ولكن ظروف عصره هى التى دعته إلى تلك المجانة وتغليفها بالهزل والسخرية حتى ينال عن طريقها من الخصوم.. وفى يوم من الأيام ستبين الحقيقة جلية ساطعة ويحتل الشاعر المتهم بالمجانة مكانته الحقيقية التى تليق به:

طرقـت عليـه الحـان لهفـان سـاغبا
فـأطعمنى أسـراره ومواهبَـهْ
وقـال: تعلـم.. مـا بحـانى مجانـة
ولكنهـا الـدنيا علـى النـاس غالبـه !!
يريدون من يغضى.. فإن باح بالذى
أراب.. أباحوا الزور والبغى جانبه
ولمـا شـرعنا العقـل.. قـالوا: مجانـة
إذن.. فلتكن دنيا المجون محاربه !!

نغلفهـــا بـــالهزل رجمـــا مـــبيرةً

وشـهبا علـى كـل الشـياطين ثاقبـه !!

ويومـــا.. إذا ثابـــت عيـــون لنورهـــا

وألقـــت إلى ليـــل الضـــياع غياهبـــه

ســـــيعلم قـــــوم أى در ببحرنـــــا

ويزجـى بنـا ضـوء الصـباح مواكبـه

ومثلما تناول فوزى أمين فى ديوانه أم أبى نواس «جلبان» وأستاذه « والبة »تناول أيضا حبيبته «جنان »: فغازلها على لسان أبى نواس وعبر عن شوقه لها وانتظاره إياها حالما بموسم العنب حيث موعده معها:

وجـــه «جِنـــان» إطلالـــة العيـــدِ

خطـــى جنـــان مواســـم الجـــودِ

عينـــا جنـــان بســـتان معرفـــة

في أيكـــه رفرفـــت أغاريـــدى

مضـــت جنـــان... وكـــان موعـــدنا

إذا زهـــا الكـــرم بالعناقيـــد

وهـــا أنـــا... مـــا أزال منتظـــرا

عينـــى علـــى عقـــرب المواعيـــد

في الحـــان ليلـــى وليلـــها عجـــب

إن ثـــارت الخمـــر بالمواجيـــد

إن اقبلـــت بـــالكئوس ســـاقية

أقـــول: أســـهرت ليـــل تســـهيدى !!

وإن تغنـــت بـــالعود شـــادية

أقـــول: صـــالت جنـــان بـــالعود !!

وإن علـــت للمـــزاج قرقـــرة

أقول: نادت.. فمن ترى نودى ؟!

وهكـــذا.. مـــايزال يتبعنـــى

وهمـــى طيوفـــا لوجـــه مفقـــود !

فتـــارة في الحبـــاب ألثمهـــا !!

وتـــارة في نضـــيد أملـــود !

وتـــارة باللحـــاظ غـــامزة

وتـــارة تنثنـــى بتأويـــد !!

وينقضـــى الليـــل مثلمـــا حلـــم

جنـــان منـــه في كـــل معقـــود !!

وحـــين أصـــحو.. مـــا ثـــم غـــير يـــد

خلـــت.. وقلـــب في الهـــم مصـــفود

قـــد أبطـــاتنى جنـــان.. هـــل نســـيت

أو ضـــن حـــان بربـــه الغيـــد ؟!

كـــم أغـــدق الكـــرم في مواسمـــه

وسلســـل التـــبر في النواجيـــد !!

يـــا صـــاحب الحـــان دع مســـاومة

فأنـــت تـــدرى.. جنـــان مقصـــودى

ولتحـــتكم... مـــا تشـــاء مـــن ذهـــب

جنـــان أغلـــى مـــن كـــل منقـــود

فهـــز رأســـا.. وقـــال: موعـــدنا

إذا زهـــا الكـــرم بالعناقيـــد !!

وهذه الغادة التى أحبها أبو نواس واشتاق إليها وأشار إليها فوزى أمين في قصيدته واسمها «جنان »، لم تكن في الواقع تكن له مشاعر الحب بل « كانت تزدرى فيه غلامياته وسيرته الشاذة وكانت أول امرأة شغفته حبا، وهو لا يزال في البصرة قبل انتقاله إلى بغداد نهائيا – وكانت جارية الثقفيين » [٢٥].

ونراه يرسل لها بغرلياته، وترسل له بسبها وشتمها، وهو يزداد بها شغفا، حتى ليقول:

أتـــانى عنـــك ســـبك لى فسُـــبِّى
ألـيس جـرى بفيـك اسمـى ؟ فحسـبى !
وقـــولى مـــا بـــدا لـــك أن تقـــولى
فمـــــــاذا كلـــــــه إلا لحبـــــــى
قصـــاراك الرجـــوع إلى وصـــالى
فمـــا تـــرجين مـــن تعـــذيب قلبـــى
تشـــابهت الظنـــون عليـــك عنـــدى
وعلـــم الغيـــب فيهـــا عنـــد ربـــى !

وغزله فيها غزل عفيف لا فحش فيه »

ويقول الدكتور شوقى ضيف إن « أروع ما قاله من غزل فى المرأة ما نظمه في جنان ». إذ يعبر فيه عن مشاعر صادقة، ومن الغريب أنها كانت ترده ردا

منكرا عنيفا،وهو كلما ردته ازداد بها غراما وعليها تهالكا وكلف بها أشد الكلف، وله فيها مقطوعات بديعة من مثل قوله وقد رآها تبكى في بعض المآتم:

يـــا قمـــرا أبصـــرت في مـــأتمٍ
ينـــدب شـــجوا بـــين أتـــرابِ
أبـــرزه المـــأتم لى كارهـــا
بـــرغم رايـــات وحجـــاب
تبكـى فيـذرى الـدر مـن نـرجس
وتلطـــم الـــورد بعنـــاب (٢٧)
لا تبـــك ميتاحـــل في حفـــرة
وابـــك قتـــيلا لـــك بالبـــاب

وعبثا استطاع يوما أن يلقاها، مما جعله يصطلى حقا بحبها وناره المحرقة، ويتعذب عذابا طويلا، بثه في كثير من أشعاره، ولعلها المرأة الوحيدة التى استأثرت بقلبه وملكت عليه كل شيء من أمره » (٢٨)

وصدى مقطوعة «جنان » السابقة في ديوان فوزى أمين بيتان رقيقان:

لاحـــت لىَ اليـــوم فـــى حـــدادِ
تبكـــى وتَـــذرو الـــدموع ذرًّا
بـــالرغم مـــن كـــل مـــا تعـــانى
رأيتهـــا في الســـماء بـــدرا

ومن أرق وأطرف أشعار أبى نواس في جنان قوله: [٢٩]

أيـــــا مُلـــــينَ الحديـــــد
لعبـــــــــــــــــده داودِ

أَلِـــــنْ فـــــؤاد جِنـــــانٍ
لعاشـــــــــق معمـــــــــودِ

جنـــــانُ جـــــودى وإن عَـــــزَّ
كِ الهـــــوى أن تجـــــودى

ألا اقتلينـــــــى ، ففـــــــى ذا
كَ راحـــــــة للعميـــــــد

أمـــــا رحمـــــتِ اشـــــتياقى
أمـــــا رحمـــــت ســـــهودى

فقربـــــــى لمُحِـــــــبٍّ
محـــــض الـــــوداد ، وجـــــودى

صَـــــبٍّ ، حـــــريض ، مهـــــيض
نـــــاءٍ طريـــــد ، شـــــريد

.....

فـــــأنجزى لى وعـــــدى
وأقصـــــرى مـــــن وعيـــــدى[٢٩]

وفى جنان قال أبو نواس أيضا:

وذات خـــــــــدٍّ مُـــــــــوَرَّدْ
فتانـــــــــــة المتُجَـــــــــرَّد
تَأَمَّـــــــل النـــــــاس فيهـــــــا
محاســـــــنا لـــــــيس تنفـــــــدْ
الحســـــــن في كـــــــل جـــــــزء
منهـــــــا معـــــــاد مـــــــردَّد
وكلمـــــــا عـــــــدت فيـــــــه
يكـــــــون بـــــــالعود أحمـــــــد
فاشـــــرب علـــــى وجـــــه بـــــدر
ريـــــــان غـــــــير معربـــــــد (٣٠)

وقيل إن أبا نواس كتب في جنان أبياته الطريفة الآتية أيضا:

وفتانـــــــة أبصـــــــرتها فهويتهـــــــا...
هوى «عروة» العذرى والعاشق النَّجْدِى
فلمـا تمـادى هجرهـا، قلـت: واصـلى
فقالت بهذا الوجه ترجو الهوى عندى ؟
فقلـت لهـا: لـو كـان في السـوق أوجـه
تبـــاع بنقـــد حاضـــر، وســـوى نقـــد
لغـــيرت وجهـــى واشـــتريت مكانـــه
لعلـــك أن تهـــوى وصـــالى مـــن بعـــد

وإن كنـــت ذا قـــبح، فـــإنى شـــاعر
فقالت: ولو أصبحت « نابغة الجعدى »[٣١]

وكما أن أبا نواس اختتم حياته بالتوبة والرجوع لله بعد حياة حافلة بالمجون والعصيان فإن فوزى أمين اختتم ديوانه عناقيد في كرمه ابن هانئ بأبيات تؤكد هذه التوبة واللجوء لله. يقول فوزى في آخر صفحات الديوان:

يـــــارب والـــــدرب حَلَـــــكْ
أنـــــــر لعبـــــــد سُـــــــبُلَكْ
وكـــــن لـــــه حيـــــث سَـــــلَكْ
(لبيـــــك إن الحمـــــد لـــــك)

وكان أبو نواس في نهايات حياته قد زهد في متع الحياة وحاول أن يخلص التوبة لله فكتب أشعاره في الزهد والتوبة والتهيؤ للآخرة،من ذلك قوله:

يـــا طالـــب الـــدنيا ليجمعهـــا
جمحـــت بـــك الآمـــالُ فاقتصـــدِ
واعمـــل لـــدار أنـــت جاعلـــها
دار المقامـــــةِ آخـــــر الأَبَـــــدِ

ولعل من أشهر أشعار أبى نواس فى هذا الغرض أبياته المعروفة :

أرى كـلَّ حـيّ هالكـا وابـن هالـكٍ
وذا نســب فـــى الهـــالكين عريـــقِ

فقـــل لقريـــب الـــدارِ إنـــك ظـــاعنٌ

إلى منـــزل نـــائى المحـــل ســـحيقِ

إذا امـــتحن الـــدنيا لبيـــبٌ تكشـــفّت

لـــه عـــن عـــدو فـــى ثيـــاب صـــديق!

- هكذا اعتمد الشاعر فوزى أمين سيرة أبى نواس أساسا لديوانه الأخير معبرا عن أفكاره متناولا أهم الشخصيات المؤثرة في حياته : أمه وأستاذه والمرأة التى هام بها. لكنه أيضا أراد في بعض قصائد الديوان أن يعكس صورة عصره وما شابه من طغيان الحكام وتعرض الناس لظلمهم وعنفهم وما اضطر المثقفون إزاءه من مراوغة الحكام ولوذهم بالتقية والتحصن بالهزل والمجانة والظرف ليتجنبوا غضبهم وانتقامهم.. فقد صاحب قيام الدولة العباسية عنف سالت معه أنهار من دماء الأمويين الذين تتبعهم العباسيون في كل مكان وفتكوا بهم فتكا، ثم استتب لهم أمر البلاد فحكموها بالسيف .. بالحديد والنار ، وتحولت الخلافة من دمشق إلى بغداد التى بناها العباسيون بعد أن كانت قرية صغيرة وأقاموا فيها ملكا عضودا.
- « وقد أخذ العباسيون يلقون في وعى الناس أنهم أصحاب حق إلهى في الحكم فهم سلطان الله في أرضه » (كما يقول الطبرى) وأحاطوا أنفسهم بنظام تشريفات معقد متخذين كثيرا من الحجاب، وبذلك لم يعد العرب يدخلون على الخلفاء كما كان الشأن في عصر بنى أميه، بل لا بد لهم قبل الدخول عليهم من استئذان هؤلاء الحجاب وكانت كثرتهم من الأعاجم الذين احتكروا لأنفسهم أكثر شئون الحكم. وكان الخليفة يستقبل من يدخل عليه وكبير حجابه في جانب، وفى جانب آخر كبير حراسه المعروف

باسم الجلاد (كما ورد في البيان والتبيين) والنِّطعُ دائما أمامه، فمن غضب عليه أطاح برأسه توا. وبذلك أصبحنا إزاء حكم استبدادى أشد ما يكون الاستبداد، حكم لا يحسب فيه أى حساب للرعية، فهى أدوات مسخرة للحاكم ليس لها من الأمر أى شيء.. ثم عظمت حركة الزندقة ببغداد والعراق عموما ورأى الخليفة المهدى فيها شرا مستطيرا يتهدد كيان الدولة والإسلام جميعا فجد في طلب الزنادقة وأخذ يقتلهم ويصلبهم نكالا لغيرهم » (٣٢).

- ومن قصائد فوزى أمين التى اتخذت اتجاه التعبير عن زمان أبى نواس وما اقترن به من طغيان الحكام وتكميم الأفواه ومحاولة الشعراء المعارضين إبداء آرائهم في قالب هزلى أو ماجن مع مراوغة السلطة على سبيل التقية قصيدته عن أستاذه والبه التى ذكر فيها أفضاله عليه في عالم الشعر وفيها يقول:

سقانى رحيق الشمس من تبر كرمِهِ
وعلق في أهداب ليلى كواكبَهْ
وعرفنى بابا من السحر لم يزل
يكشف لى في كل يوم عجائبه

وفى القصيدة مقطع « نرى فيه المعلم يلقن تلميذه درسا في « التقية» وكيفية مداراة السلطة من خلال خطاب يتصف بالحيطة والذكاء والمناورة والمراوغة، وتتجلى فيه الشخصية النواسية التى تتحصن بالهزل والمجانة والظرف لتتخذ من كل ذلك قناعا تختفى وراءه الحكمة والوعى بواقع الحال وهو ما يتجسد في هذا المشهد النابض بدلالاته وإسقاطاته ورموزه السياسية.

وقـال أجبنـي يانواسـيُّ ، هـل تـرى
أخـي مسـتحقا إرث عربـاء عاربـة

فقلـت وقـد أبـديت وجـه مجانـةٍ
ومـا أنـا فـي جـرو يهـارش صـاحبه ؟!

وهـل لبنـي العبـاس فـي الـرأى حاجـة
وطـاعتهم بالسـيف فـي النـاس واجبـةْ ؟

فثـار وأرغـي .. قلـت : مـولاى ، مـاجنٌ
يمـازح .. لا تعـدو عليـه غرائبـه

لأمـي ذكـر السـوء ، إن كنـت داريـا
بمـن ألـبس العبـاس مـنكم مخالبـه !

لقـد كـان أَوَّاهـا .. حليمـا .. ملاينـا
فـأنّى لـه بالباطشـين المرازبـة

فهلـل .. واسـتلقى علـى الظهـر ضـاحكا
وأومـأ للسـاقى يـدير مشـاربه(٣٣)

هذا خطاب أو حوار متبادل بين « النواسى» – بلسان الشاعر فوزى أمين – من جانب والسلطة من جانب آخر.. أو بين المبدع والسلطة فالخطاب النواسى يحتشد بالمراوغة والذكاء والممالأة في مواجهة خطاب البطش والقهر الذى يثور ويرغى ويهدد بالسيف إن لم تكن الإجابة على هواه.

فإن وجد ضالته هلل ولاذ بالخمر (المادية) ليصل إلى اللذة الدنيوية.
أما النواسى الشاعر المبدع الذى يتجدد خطابه في كل عصر فهو يلوذ بالخمر الروحية هربا من الواقع الذى يحاصره الظلم والقهر والفساد ». هذا ما يقوله الناقد الدكتور فوزى عيسى تعقيبا على قصيدة فوزى أمين سالفة البيان[٣٤].

- أما الشاعر فؤاد طمان فيقول تعليقا على قصيدة فوزى أمين السابقة وتعقيب الناقد الدكتور فوزى عيسى عليها ما يلى: [٣٥]

« لاشك أن الشاعر الدكتور فوزى أمين أطلق خياله ليبتدع هذا الحوار الذى يتضمنه نصه، ليعبر عن زمان أبى نواس وأوضاعه السياسية وليتناول فكرة محددة لصراع السلطة مع المثقفين وتحايلهم لإعلان رأيهم بدهاء يجنبهم غضب الحاكم المستبد. أما موقف « والبة بن الحباب » أستاذ أبى نواس هذا فلا أساس له من الحقيقة ولا دليل عليه من التاريخ وقد خلت كتب التراث من أى إشارة للواقعة التى تضمنها نص الشاعر فوزى أمين كذلك لم يورد الناقد الشاعر الدكتور فوزى عيسى في تعقيبه أى أشارة لحدوث هذا الحوار تاريخيا وإذن فهى حيلة فنية قصد بها الشاعر فوزى أمين إسقاط الموقف الخيالى المنسوب لوالبه وأبى نواس وإسقاط الواقع العباسى بما فيه من طغيان ودكتاتورية وعنف خاصة ضد المفكرين المناهضين للحكام، على الواقع الراهن الذى نعيشه الآن، للتعبير عن قضية من قضايا العصر أثيرت في عصر أبى نواس وفى التاريخ العربى بل والإنسانى منذ العصور القديمة وحتى عصرنا الحديث. أما والبه فلم يكن إلا شاعرا مجيداً ولغويا لا يشق له غبار لكنه لم يكن فيلسوفا ولا رجل مواقف ومبادئ يغار من أجل قيمة أو مبدأ رفيع كقيم الحرية وشجاعة الرأى والعدل . بل كان شاعرا ماجنا فاسقا يعيش لمتع الحياة وهو الذى ساق أبا نواس صَبيا إلى عالم المجون والفسق بل ساق إلى ذلك جيلا من الشعراء بل أجيالا..»

رابعاً: إدانة الواقع العربى المعاصر

إدانة الواقع العربى المعاصر هى المحور الرئيس الذى تدور حوله معظم أشعار فوزى أمين. فهو يدين أمته التى تتلقى الهزيمة تلو الهزيمة وتتهاون في حقوقها تجاه العدو الخارجى وهو القوى الاستعمارية التى تعاديه وتنهشه من جانب، ومن جانب آخر العدو الداخلى المتمثل في طغيان الأنظمة الحاكمة وديكتاتوريتها واستئثار زبانيتها بثروات شعوبها وبالمكانة الاجتماعية والسياسية ودأبهم على استغلال شعوبهم وقمع حرياتهم.

ولعل قصيدته « لأينا آهة الأوجاع » التى يخاطب فيها المتنبى هى خير مثال على هذا الاتجاه، فضلا عن أنها من روائع قصائده لغة وإيقاعا وصورا ومجازات ورموزا:

يقدم فوزى أمين لقصيدته بالعبارات الآتية:

« فى ظل المتنبى:

يقول المتنبى:

حتام نحن نسارى النجم في الظُّلَمِ

وما يسير على ساق ولا قدم

ومن أنفاس بسيط المتنبى اللاهبة، ومن جمر روى الميم ؛ تشتعل حروفى وتتوهج مشاعرى وأحس بأننى أتوحد مع شاعر العربية العظيم »

وقصيدة فوزى بما اشتملت عليه من إشادة بأبى الطيب ونيل من خصومه الحقيقيين من جانب والذين ترمز لهم أبياتها من المعاصرين المشابهين لهم من جانب آخر، توضح لنا لماذا اختار فوزى أمين جده شاعر العربية الكبير ليخصه برائعته العاصفة . فأبو الطيب المتنبى [٣٦] أكبر شعراء العربية على مر العصور، وهو رمز للشموخ والكبرياء والاعتداد بالنفس والشجاعة والذود عما يعتقد فيه من

قيم ومبادئ، والشاعر لا يرى له غير هذه الصورة المشرقة ملتفتا عن أى عيب فيه مما أشار إليه المؤرخون أو تناولته كتب التراث.

يستهل الشاعر فوزى أمين رائعته بتكريم المتنبى وتقدير مكانته السامقة وخلود شعره وكشفه عن الحكام والسادة الذين لا يزيدون في الواقع عن كونهم خدما يضربون على قومهم نطاقا من الجبروت بينما هم أذلاء أمام أعدائهم ويدين الشاعر الشعوب التى تساق كالقطعان بعصا الحكام عربا كانوا أم محتلين:

بعاصف من خيول الشعر مقتحِمِ ... مازلت تضرِب في وهد وفى أَكَمِ
تشق قلب الدياجى عن سنا حلم ... وتودع النار بين الحرف والنغم
ترمى بشُهْبِ القوافى ثلة لبست ... جلد الأسود على نفس من النعم
تملكت زمنا فاضت عجائبه ... عن سادة كلهم من جملة الخدم
همُ على قومهم نار مسعرة ... وهم لأعدائهم لحم على وضم
فاضرب فما ثم إلا من عرفتهم ... ورو رمحك لا تعقب على ندم
همُ همُ الناس قطعان يسيرها ... طاغ من العرب أو باغ من العجم

– ثم يتوحد الشاعر – كما قال – مع المتنبى، ويقول إن محنتيهما متشابهتان بل هى محنة واحدة تتكرر في زمانيهما:

الخيل.. خيلك.. مازالت محمحمة ... والجرح.. جرحك..رعاف على قلمى
وأنت..أنت.. نشيج الليل يسكننى ... وأنت أنت شواظ النار في حممى
وأنت من ينبت الإصرار في أفقى ... إذا تراخت على درب الوجى قدمى
وأنت إن حزبت للشر حازبة ... تصول عنى، وتهمى هادراً بفمى
لى منك عين على الآفاق ساهرة ... إن نام ليل الأسى والهم لم تنمِ

ولم أعـد داريـا والـنفس مثخنـة لأينـا آهــة الأوجــاع والســقم
ليل تناسخ فينا... أنت في ظلم أعيشها، وتعيش الليل في ظلمى
بينى وبينك في دنيا الجوى رحمٌ من نازف الجرح أو من نازف الكَلِمِ

- ويستمر فوزى أمين في توحده مع المتنبى ويذكر من أوجه الشبه بينهما طهرهما وسط أمة يلطخها الرجس، ورفضهما الزيف والرياء وعبادة الأصنام، وصونهما الذمم والعهود بما يليق بالشعراء الحقيقيين وبأصحاب الهمم والطامحين للعلا، وبتلقيهما طعنات الباغين:

جنايتانا علـى الأحقـاب واحـدة أنا على الطهر في رجس من الأممِ
وأننــا مــا ارتضــينا زيــف أقنعــة من الرياء، ولم نعكف على صنم
وأن للشــعر منــا والعــلا ذممــا ألا نحيد، وما حدنا عن الذمم
فـإن ترصـدك البـاغون فـاختتلوا فهاهم يولغون الناب في حلمى

- ويدين الشاعر ما عليه قومه من صمت وتخاذل هما قرينا الموت، مفرقا بين موت يفضى للعدم وموت كريم لا يحول دون البقاء والخلود، ويقول إن الشكوى لا تجدى إذا كانت مرفوعة للقتلة والغاصبين:

والصـمت غـول، وشـر منـه غائلـة «شكوى الجريح إلى الغربان والرخم»
شـئٌ هـو المـوت إلا أنـه حـرق ما كل موت بنا يفضى إلى العدم

- ويظل الدكتور فوزي أمين حتى ختام قصيدته الباذخة متوحدا مع شاعره وإمامه المتنبي.. لائذاً به من الحاقدين مطمئنا إلى صاحبه وسنده الذي يصفه بالصِّدِّيق:

لكـنني وصـدور الحقـد مـوغرة وأعين الغيظ من جمر ومن ضرم
ألـوذ بالدوحـة العصـماء محتميـاً كمـا يلـوذ طريـد السـفح بـالقمم
غار من الشجن العلـوي يعصمني وصاحبي فيه صدِّيقٌ مـن الشيم

- أما افتتاحية ديوان فوزي أمين « الفارس والكهف » فهي وثيقة إدانة للأمة التي يتكلم في الواقع بلسانها.. فالسيف صدئ في غمده والخيول خرساء بلا حمحمة ولا أدل على موت الأمة وزوال مجدها من ذلك.. مما يدعو الشـاعر (أو الشـعب) للانسـحاب إلـى الزوايـا المعتمـة خـارج الأضـواء والتـاريخ.. لا غرابـة إذن أن ينسـحب الفـارس إلـى الكهـف ملقيـا بشـاراته وأوسمته حيث لم يعد له دور يمكن أن يؤديه:

اتركـــوني في الزوايـــا المعتمـــة
وخـــذوا شـــاراتكم والأوسمـــةْ
لســـت في الفرســـان إن عـــدوا ولا
لـــيَ دور في فصـــول الملحمـــة
نـــام في الغمـــد حســـامي صـــدئا
بعـــد مـــا ثلمـــه مـــا ثلمـــه
وجـــوادي منـــذ دهـــر خمـــدت
جـــذوة منـــه.. وماتـــت حمحمـــة!

- والافتتاحية السابقة هي جزء من القصيدة الرئيسية التي يحمل الديوان الأول عنوانها: الفارس والكهف. وفيها يتذكر الماضي المجيد حيث البطولات والدفاع عن القيم والمبادئ ثم يعبر عن صدمته إذ اختفت الوجوه النبيلة وحلت محلها وجوه لا نعرفها وحتى الكهان في المعابد خانوا رسالتهم المقدسة وسرقوا إلاههم ولطخوا حرمه:

اتركـــوني في الزوايـــا المعتمـــةْ

وخـــذوا شـــاراتكم والأوسمـــةْ
لســـت في الفرســـان إن عـــدوا ولا
لـــيَ دور في فصـــول الملحمـــة
نـــام في الغمـــد حســـامي صـــدئا
بعـــد مـــا ثلمـــه مـــا ثلمـــه
وجـــوادي منـــذ دهـــر خمـــدت
جـــذوة منـــه.. وماتـــت حمحمـــة
كـــان يومـــا معلـــم الوجـــه إذا
كـــر فـــرت كـــل خيـــل معلمـــة
كـــم تناصـــرنا لتحيـــا كِلْمَـــةٌ
وتآزرنـــــا لتفنـــــى كَلِمَـــــةْ
خدعـــة عشـــنا عليهـــا زمنـــا
وصـــحا المخـــدوع يحســـو ندمـــه
فـــــإذا الأوجـــــه لا نعرفهـــــا
والمرايـــــا كلـــــها متهمـــــه
وإذا الكهـــــان في معبـــــدهم
ســـرقوا الـــرب... وداســـوا حرمـــه

- لقد انتشر الزيف وهزمت الروح ولم يبق إلا أن نلعق الجراح ونذرف دموع الندم علها تمحو آثامنا وتخفى سوءاتنا:

وانتشـــى الزيـــف كئوســـا أترعـــت
بالخطايـــا.. وبطونـــا متخمـــةْ
فرجعنـــا نلعـــقُ الجـــرح أســـى
ونـــــوارى روحنـــــا المنهزمـــــة

ونهيـــلُ الـــدمع يخفـــى ســـوأة

قــد بــدت منــا... ويمحــو مأثمــه

- وفى ختام القصيدة يقرر الفارس أن يلوذ بكهفه محتميا بصمته حتى لا يفتنه الأفاكون وجنود الظالمين.. إن العزلة فى رأيه هى الموقف الوحيد الذى يليق بالشرفاء ليحافظوا على قيمهم ومبادئهم في زمان السقوط:

لائـــذ بـــالكهف يخفـــى ليلُـــهُ

شمســـي المجروحـــةَ المرتطمَـــةْ

محـــتمٍ بالصـــمت أن تفتـــنني

ثلــة الإفــك... وجنــد المظلمــة ؟!

تصـــبح العزلـــة حلمـــا غاليـــا

حـــين تحمـــى لشـــريف قِيَمَـــهْ !

* * * * *

الخاتمة

هكذا نصل إلى نهاية بحثنا فى التجربة الشعرية لفوزى أمينً لغة وإيقاعا ومضمونا . حيث تناولنا فى مبحث تمهيدى الشاعر وإبداعه الشعرى ، وكيف أن إبداعه يتميز بعناصر الشعرية الحقة التى تجعله فى مصاف شعراء الإسكندرية الكبار، رغم خلو المكتبة المصرية والعربية من أى مراجع نقدية تتناول إنتاجه الرفيع باستثناء فصل وجيز خصص فى كتاب الأستاذ الدكتور / فوزى عيسى : جماليات التلقى المشار إليه آنفا، وبحث وجيز للأستاذ الدكتور سعد دعبيس سبقت الإشارة إليه .

ثم تناولنا لغة الشاعر الرفيعة المحكمة وقلنا إن ما تتضمنه فى أحوال قليلة من مفردات تبدو معجمية غير مألوفة للمتلقى المعاصر لا تعيب إبداعه لأنها ألفاظ صحيحة فصيحة يعرفها كل المتخصصين ولكن تدنى مستوى عامة المتلقين فى اللغة هو ما يخلق هذه المشكلة ويدعو لتجنبها تحقيقا للتواصل اللازم بين المبدع والمتلقى فى هذا العصر الذى تواجه فيه لغتنا الجميلة أزمة لا تخفى على أحد .

كذا تناولنا الموسيقى فى تجربة فوزى أمين الشعرية وقلنا إنه يلتزم بضوابط الموسيقى التراثية الصارمة فهو شاعر مجيد لا يكتب إلا القصيدة العمودية فى أدق صورها ملتزما بعلمى العروض والقوافى وبالإيقاعات العربية الكلاسيكية ، وقد أشرنا إلى تنوع إيقاعاته فقد كتب فى معظم بحور الشعر حتى ما هجر فى العصر الحديث مثل بحر "المنسرح" ، وكتب القصيدة الطويلة والمقطوعة أو القطعة القصيرة . كما كتب القصيدة ذات

البيت التام (أى ما استوفى كل أجزائه وتفاعيله) مثلما كتب المجزوء ، (وهو ما حذف جزء منه من عروضه أو ضربه على التفصيل السابق ذكره).

وكما كتب القصيدة ذات القافية الموحدة كتب القصائد التى نوع فيها القوافى بما أثرى موسيقاه .

ثم انتلقنا إلى المضمون فتحدثنا عن معالجة الشاعر لأغراض القصيدة المتنوعة حيث كتب الشعر العاطفى والوطنى والقومى وخص تجربة ورؤى وأفكار الشاعر العباسى الكبير "أبى نواس" بديوان كامل . كما جعل محور شعره فى ديوانيه إدانة الواقع العربى المعاصر والتذكير بأمجاد الأمة وحثها على تجاوز هزائمها والنهوض من جديد واستعادة قيم الطهر والنبل والحرية والعدل، والمجد الزائل والتاريخ المجيد .

وأرجو أن يكون هذا البحث المتواضع قد سد ثغرة بمكتبتنا الشعرية والنقدية العربية وألقى الضوء على تجربة شاعر كبير جاد لم توله الحركة النقدية ما يستحق من اهتمام ولم تُولِ شعره ما هو جدير به من دراسة وبحث وهو شعر كلاسيكى رفيع رفده صاحبه بعناصر التجديد والمعاصرة .

الإشارات

(١) أ.د/ فوزى أمين : ديوان الفارس والكهف – الطبعة الأولى(٢٠٠٣) الناشر : الدار المصرية للنشر والتوزيع – الإسكندرية .

(٢) أ.د/ فوزى أمين : عناقيد من كرمة ابن هانئ – الطبعة الأولى (٢٠٠٤) الناشر : الدار المصرية للنشر والتوزيع – الإسكندرية .

(٣) أ.د/ فوزى عيسى : جماليات التلقى (قراءات نقدية فى الشعر العربى المعاصر) الطبعة الأولى (٢٠٠٩) – الناشر : دار المعرفة الجامعية بالإسكندرية.

(٤) أ.د/ فوزى عيسى المرجع السابق – صـ١٧٥ ، أ.د سعد دعبيس : مهرجان الشعراء السكندرى عام ٢٠٠٠ صـ٦ وما بعدها.

(٥) أ.د/ فوزى عيسى : المرجع السابق – صـ١٩٨ ، ١٨١، ١٨٢.

(٦) أ.د/ فوزى أمين : من قصيدة "أهل الهوى" من ديوانه عناقيد من كرمة ابن هانئ (المرجع السابق) صـ٧١.

(٧) أ.د/ فوزى أمين : من قصيدة " مملكة الكرم" من ديوانه عناقيد من كرمه ابن هانئ – المرجع السابق صـ ١٢٩ وما بعدها .

(٨) أ.د/ فوزى أمين : من قصيدة : بعدك ياشعر من ديوان الفارس والكهف – المرجع السابق صـ٧.

(٩) أ.د/ فوزى أمين : من قصيدة "لأينا آهة الأوجاع" من ديوانه الفارس والكهف – المرجع السابق صـ٥١ وما بعدها .

(١٠) فوزى عيسى – المرجع السابق صـ١٧٦ .

(١١) فاروق شوشه – مقال منشور بجريدة الأهرام – مارس ٢٠٠٢.

(١٢) أ.د/ محمد زكى العشماوى – دراسة بعنوان "فؤاد طمان وعالمه الفريد المبتدع" منشورة ضمن كتاب : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية لنخبة من الكتاب – الناشر : دار السفير بالإسكندرية – الطبعة الأولى (٢٠٠٦) صـ٣٩، ٤٠.

(١٣) أحمد عبدالمعطى حجازى – أحفاد شوقى – الطبعة الأولى (١٩٩٢) منشورات الخزندار – جدة – صـ١١٨ وما بعدها .

(١٤) أحمد عبدالمعطى حجازى – المرجع السابق صـ١١٩.

(١٥) أحمد عبدالمعطى حجازى – المرجع السابق صـ١٢٠.

(١٦) السيد أحمد الهاشمى – ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب – الطبعة الرابعة عشرة (١٩٦٣) – الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر صـ٣.

(١٧) أ.د/ فوزى عيسى : جماليات التلقى (المرجع السابق) صـ١٧٦ ، ١٨٣، ١٩٤، ٢٠٢ ، أ.د سعد دعبيس : "المرجع السابق" ص١٤.

(١٨) أ.د/ فوزى أمين : ديوان الفارس والكهف صـ١١٧ .

(١٩) أ.د/ فوزى أمين : ديوان عناقيد من كرمة إبن هانئ صـ٥٥ .

(٢٠) فالبيت إذا كان مركبا من ستة أجزاء (تفاعيل) مثلا، وكان بذلك بيتا تاما، فإنه بالجزء يصير ذا أربعة أجزاء (تفاعيل) فيسمى الجزء الثانى من البيت عروضاً والجزء الرابع « ضربا» [انظر ميزان الذهب في صناعة شعر العرب – المرجع السابق (هامش ص ٢١).

(٢١) أنظر: د. فوزى عيسى: مقدمة ديوان « عناقيد من كرمة ابن هانئ » المرجع السابق ص٥ وما بعدها.

(٢٢) أنظر موسوعة أعلام الدنيا - مجدى سيد عبد العزيز - الناشر مكتبة الآداب ص ٣٣.

(٢٣) أد. شوقى ضيف – تاريخ الأدب العربى (العصر العباسى) الناشر: دار المعارف – ط ١٦سنة ٢٠٠٤ ، وصـ٢٢٠ وما بعدها من ديوان عناقيد من كرمة ابن هانئ

(٢٤) هكذا ورد اسم جلبان في ديوان الدكتور/ فوزى أمين (جُلْبان) ولكن اسمها ورد في المرجع السباق للدكتور شوقى ضيف على نحو آخر هو « جُلُبّان » وفى بعض كتب التراث وفى ديوان أبى نواس شرح وتقديم الدكتور عمر فاروق الطباع الطبعة الأولى ١٩٩٨ (دار الارقم للطباعة والنشر والتوزيع – ببيروت) ص٩ ورد الاسم هكذا «جُلّبان» .

(٢٥) آل عبد الوهاب الثقفى [ديوان أبى نواس – المرجع السابق ص ١٨٥].

(٢٦) د. شوقى ضيف – المرجع السابق – ص ٢٢٣، وديوان أبى « نواس» المرجع السابق ص ٦٧، ٦٨.

(٢٧) استعار الدر للدمع، والنرجس للعين، والورد للخد، والعناب لأطراف الأصابع (شوقى ضيف – المرجع أعلاه ص ٢٣٣).

(٢٨) أ.د/ شوقى ضيف (المرجع السابق) ص ٢٣٢، ٢٣٣.

(٢٩) ديوان أبى نواس (المرجع السابق) ص ١٨٨، ١٨٩.

(٣٠) ديوان أبى نواس (المرجع السابق) ص ١٨٥.

(٣١) ديوان أبى نواس (المرجع السابق) ص ١٨٨، ١٨٩.(وعروة العذرى هو عروه بن خزاع. عاشق عفراء والعاشق النجدى قد يكون جميل بن معمر عاشق بثينة أو قيس بن الملوح عاشق ليلى العامرية).

(٣٢) أ.د/ شوقى ضيف – المرجع السابق ص ٢١ وما بعدها.

(٣٣) أ.د/ فوزى عيسى - جماليات التلقى – ص ١٩٢.

(٣٤) أ.د/ فوزى عيسى - جماليات التلقى – ص ١٩١، ١٩٢.

(٣٥) فؤاد طمان: الشعر المصرى المعاصر [المرجع السابق ص ٥١].

(٣٦) هو أبو الطيب أحمد بن الحسين الشهير بالمتنبى، (وقيل إنه سمى المتنبى لإدعائه النبوة في بداياته حسبما زعم) ومكانته في عالم الشعر العربى مكانة

سامقة . ورغم مرور القرون على رحيله فهو لم يزل شاعر العربية الأول . عُرف بشموخه على المستوى الإنسانى وقد قربه إليه سيف الدولة الحمدانى وحارب الروم معه في عدة معارك وبث في قومه روح العزة والكرامة. وديوانه « يتبوأ في تاريخ الآداب العربية منزلة قلما وصل إليها شاعر عربى من قبله أو من بعده فهو شاعر الأخلاق، ورب المعانى الدقاق، وهو أصدق شعراء العربية وصفا لطبائع النفوس وأبعدهم تفتيشا في أعماق الضمائر وأكثرهم تجربة لأحوال الناس ولذلك امتلأ شعره بالحكمة العالية التى يولع بها أصحاب المثل العليا وعشاق الفضائل الإجتماعية:

ما رأى الناس ثانى المتنبى
أى ثان يرى لبكر الزمان
كان من نفسه الكبيرة في جَيْ
ش، وفي كبرياء ذى سلطان
هو في شعره نبىٌ.. ولكن
ظهرت معجزاته في المعانى

[خاتمة مصححى ديوان المتنبى بشرح العكبرى – دار المعرفة ببيروت – ج٣ ص ٣٧٧] .

مصادر البحث

(١) د. فوزى أمين : ديوان "الفارس والكهف"– الطبعة الأولى(٢٠٠٣) الناشر: الدار المصرية للنشر والتوزيع – الإسكندرية .

(٢) د. فوزى أمين : ديوان عناقيد من كرمة ابن هانئ – الطبعة الأولى (٢٠٠٤) الناشر : الدار المصرية للنشر والتوزيع – الإسكندرية .

(٣) أ.د/ فوزى عيسى : "جماليات التلقى"- (قراءات نقدية فى الشعر العربى المعاصر) الناشر : دار المعرفة الجامعية، الطبعة الأولى (٢٠٠٩) –

(٤) فاروق شوشه – مقال منشور بجريدة الأهرام عن الشاعر أحمد بخيت – مارس ٢٠٠٢.

(٥) أ.د/ شوقى ضيف : تاريخ الأدب العربى – العصر العباسى – الناشر دار المعارف – الطبعة ١٦.

(٦) فؤاد طمان : "الشعر المصرى المعاصر" الطبعة الأولى (٢٠١٠) الناشر – دار السفير .

(٧) أ.د/ محمد زكى العشماوى وآخرون : فؤاد طمان شاعر الإسكندرية (مقالات ودراسات لنخبة من الكتاب)– الناشر : دار السفير بالإسكندرية – الطبعة الأولى (٢٠٠٦).

(٨) السيد أحمد الهاشمى – ميزان الذهب فى صناعة شعر العرب – الناشر : المكتبة التجارية الكبرى بمصر - الطبعة الرابعة عشرة (١٩٦٣) –

(٩) أ.د/ حسنى عبدالجليل يوسف : علم العروض _دراسة لأوزان الشعر وتحليل واستدراك) الناشر : مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى (٢٠٠٣) .

(١٠) ديوان أبى الطيب المتنبى (بشرح أبى البقاء العكبرى "المسمى" التبيان فى شرح الديوان) الجزء الثالث (الناشر: دار المعارف – بيروت – لبنان) الطبعة الثانية .

(١١) ديوان أبى نواس: (شرحه وضبط نصوصه وقدم له : الدكتور عمر فاروق الطباع – الناشر : دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت – لبنان الطبعة الأولى (١٩٩٨).

(١٢) موسوعة أعلام الدنيا – مجدى سيد عبدالعزيز – الناشر : مكتبة الآداب – الطبعة الأولى (٢٠٠٨) .

(١٣) أحمد شلبى : قصائد قالت لا (قراءات فى الشعر العربى) مكتبة بيروت – شركة دلتا – الطبعة الأولى (٢٠١٠).

(١٤) أ.د/ حسنى عبدالجليل يوسف : علم القافية عند القدماء والمحدثين (دراسة نظرية وتطبيقيه) الناشر : مؤسسة المختار للنشر والتوزيع – الطبعة الأولى (٢٠٠٥) .

(١٥) أحمد عبدالمعطى حجازى – أحفاد شوقى – الطبعة الأولى (١٩٩٢) منشورات الخزندار – جدة .

(١٦) أ.د سعد دعبيس : عن الأقنعة والرموز فى ديوان " الفارس والكهف" للشاعر الدكتور فوزى أمين مطبوعة وزعت على الجمهور فى مهرجان الشعر السكندرى عام ٢٠٠٠ الذى أقامه صالون الشعر بمركز الإسكندرية للإبداع .

الفهرس

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
مبحث تمهيدى : الشاعر وإبداعه الشعري	٢٠٥
المبحث الأول : لغة الشاعر	٢٠٨
المبحث الثانى : الموسيقى	٢١٦
المبحث الثالث : المضمون (المعنى والأغراض) :	٢٣٤
أولاً : الشعر العاطفى الذاتى	٢٣٤
ثانياً : الشعر الوطنى والقومى	٢٤٢
ثالثاً : سيرة أبى نواس وزمانه ، واسقاطها على الواقع	٢٤٩
رابعاً : إدانة الواقع العربى المعاصر	٢٦٥
خاتمة	٢٧١
الإشارات	٢٧٣
مصادر البحث	٢٧٧
الفهرس	٢٧٩